أبعاد إدارية واقتصادية واجتماعية وتقنية

في السيرة النبوية

أ.د. عبدالعزيز بن إبراهيم العُمري

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض (سابقاً)

ⓗ عبد العزيز بن إبراهيم العُمري، ١٤٢٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العُمري، عبد العزيز بن إبراهيم
أبعاد إدارية واقتصادية واجتماعية وتقنية في السيرة النبوية
عبد العزيز بن إبراهيم العُمري.- الرياض، ١٤٢٦هـ
٢٤٢ ص ، ١٧ × ٢٥سم
ردمك : x-٣٢٥-٥٢-٩٩٦٠

رقم الايداع : ١٤٢٧/٨٥٧ ردمك : x-٣٢٥-٥٢-٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م

حقوق الطباعة والنشر محفوظة للمؤلف

ص.ب: ١٠٠٤٣٧ الرياض:١١٦٣٥
هاتف:٢٦٩٢٣٤٤ ـ ٢٦٣٢٨٣٨، فاكس:٢٦٣٦٨٦٣
E-mail:azizomary@hotmail.com

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ(فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من المؤلف.

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى كل محب
لرسول الله ﷺ متأسٍ به
عاملاً على العلم بسيرته
وتعليمها للناس
أهدي هذا العمل.

أبعاد إدارية واقتصادية واجتماعية وتقنية في السيرة النبوية

❋ **المقدمة.**

❋ **البحث الأول:** مبادئ التخطيط والإدارة في السيرة النبوية.

❋ **البحث الثاني:** التجارة الخارجية للجزيرة العربية في عصر الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين.

❋ **البحث الثالث:** أثر أمهات المؤمنين في المجتمع المدني: عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه نموذجاً.

❋ **البحث الرابع:** استخدامات الحاسب الآلي في علم السيرة النبوية.

أ. د. عبدالعزيز بن إبراهيم العُمري

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض (سابقاً)

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

المقدمة..	١٩
البحث الأول: مبادئ التخطيط والإدارة في السيرة النبوية.	٢٧
تمهيد..	٢٩
مفهوم الإدارة..	٣٠
مفهوم التخطيط..	٣٧
التنظيم وترتيب المسؤوليات.............................	٤٠
إدارة الموارد البشرية...................................	٤٥
التكليف بالعمل (التعيين)................................	٤٧
تعدد السلطات وتوزيع الصلاحيات........................	٤٩
التقسيمات الإدارية.....................................	٥١
التعليم والتدريب.......................................	٥٢
الخبرة..	٥٣
الأجور والمكافأة (المرتبات)............................	٥٤

الموضـــــــــــــــوع	الصفحة
المساواة والعدالة...	٥٥
المشاورة..	٥٦
المعاملة الخاصة (والعلاقات الإنسانية)........................	٥٨
الحوافز المعنوية..	٦٠
الضبط والتوثيق(المكاتبات)....................................	٦٣
البريد والاتصالات الإدارية.....................................	٦٧
ترتيب الأهداف والأولويات.....................................	٨٦
البحث عن المعلومات الصحيحة قبل القرار.................	٧٠
المتابعة والتنسيق..	٧١
إدارة النفقات والمصروفات.....................................	٧٢
إدارة وتنشيط الإنتاج..	٧٣
تجميع الطاقات وتجنيدها..	٧٥
إدارة الأزمات...	٧٦
السرية...	٧٧
الرقابة والمحاسبة...	٧٩
الخاتمة	٨٠

الموضوع	الصفحة
المراجع والمصادر....................................	٨١
البحث الثاني: التجارة الخارجية للجزيرة العربية في عصر الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين.....................	٨٩
مقدمة..	٩١
تمهيد..	٩٣
عصر الرسول ﷺ وعصر الراشدين..........................	٩٤
أهمية التجارة..	٩٩
مناطق التبادل التجاري الخارجي...........................	١٠١
بلاد الشام...	١٠٢
مصر	١١٠
العراق وفارس..	١١٠
الحبشة...	١١٤
الهند	١١٦
مناطق التبادل التجاري العربية............................	١١٩
المدينة المنورة...	١٢٠
مكة المكرمة..	١٢١

الموضـــــــوع	الصفحة
هجر..	١٢٢
دباء..	١٢٢
صحار...	١٢٢
عدن...	١٢٢
سوق حضرموت.......................................	١٢٣
صنعاء..	١٢٣
دومة الجندل.......................................	١٢٣
المشقر..	١٢٣
بدر...	١٢٤
عكاظ..	١٢٤
المعاهدات التجارية.................................	١٢٤
حجم التجارة......................................	١٣٣
السلع المتبادلة.....................................	١٣٥
الصادرات...	١٣٦
الواردات...	١٣٧
النقود المستعملة للتجارة الخارجية..................	١٤٠

الموضوع	الصفحة

الخاتمة ١٤٣

المصادر والمراجع ١٤٤

المبحث الثالث: اثر أمهات المؤمنين في المجتمع المدني:

عهد معاوية بن أبي سفيان نموذجاً ١٥٣

مقدمة ١٥٥

أمهات المؤمنين ١٥٦

عصر معاوية ١٦١

أمهات المؤمنين في عصر معاوية ١٦٣

عائشة بنت أبي بكر الصديق ١٦٣

حفصة بنت عمر بن الخطاب ١٦٤

أم سلمة ١٦٥

جويرية بنت الحارث ١٦٦

أم حبيبة بنت أبي سفيان ١٦٦

ميمونة بنت الحارث ١٦٧

صفية بنت حيي ١٦٧

مقر أمهات المؤمنين ١٦٨

الموضـــــــــــــــوع	الصفحة
حياتهن الخاصة..	١٧٠
علاقاتهن الاجتماعية....................................	١٧٣
المشاركة في المناسبات الاجتماعية........................	١٨٣
أمهات المؤمنين والأعمال الخيرية.........................	١٨٥
وفيات أمهات المؤمنين وأثرها على مجتمع المدينة...........	١٩٠
الخاتمة..	١٩٤
المصادر والمراجع.....................................	١٩٦
البحث الرابع : استخدامات الحاسب الآلي في علم السيرة النبوية..	٢٠٣
مقدمة..	٢٠٥
بداية استخدام الحاسب الآلي في العلوم المساعدة للسيرة..	٢٠٩
الحاسب و العلوم المساعدة للسيرة.........................	٢١٠
أهم استخدامات الحاسب في علم السيرة النبوية	٢١١
أولًا : الأقراص المدمجة................................	٢١٢
برامج أخرى تخدم السيرة النبوية.........................	٢١٥

الموضـــــــــــــــوع	الصفحة
أهم الإمكانيات المتاحة في أقراص البرامج................	٢٢٢
ثانيًا: مواقع الانترنت المتخصصة في ا لسيرة النبوية........	٢٢٣
ثالثًا: الخرائط والرسومات والوثائق.......................	٢٢٥
فوائد استخدام الحاسب في السيرة النبوية..................	٢٢٦
سلبيات استخدام الحاسب الآلي في علم السيرة النبوية...	٢٢٨
أهم التوصيات..	٢٣٠
الملاحق..	٢٣٢
الملحق الأول: أمثلة لبعض المواقع عن سيرة وحياة الرسول ﷺ	٢٣٢
الملحق الثاني: مواقع مبيع كتب عن سيرة وحياة الرسول ﷺ	٢٣٣
الملحق الثالث: منتجات إعلامية وأفلام عن حياة الرسول ﷺ	٢٣٥
الملحق الرابع: بعض الروابط لمواقع في الحديث وما له علاقة بالسيرة..	٢٣٨

الموضـــــــــــــــوع **الصفحة**

الملحق الخامس: بعض المواقع الرسمية للشركات المنتجة
للبرامج التي تخدم السيرة النبوية.................................. ٢٣٨

المصادر والمراجع.. ٢٣٢

المُقَدِّمَة

المقـــدِمَة

السيرة النبوية العطرة سيرة معلم البشرية وسيد ولد آدم وخـاتم الأنبياء ﷺ مليئة بالأحداث والدروس والعبر الـتي يستلهم منهـا الإنسـان، ويستنير بما سنه في حياته لمن أراد خيري الدنيا والآخرة.

أحببت سيرة رسول الله ﷺ ودراسة حياته كما أحببته ﷺ وقدمت دراسة حياته على أي دراسة لبشر آخر، أرجو بذلك وجه الله وأسأله تعالى أن يحشرنا مع نبيه محمد ﷺ وأن يوردنا حوضه يوم القيامة ويجعلنا ممن يرشدون الخلق لهديه ﷺ بما يقربهم للخالق تبارك وتعالى.

وقد يسر الله لي إجراء بعض الأبحاث المرتبطة بسيرة الرسـول ﷺ منهـا مـا نشر مستقلًا ويأتي على رأسها كتاب المغازي لابن أبي شيبة (٢٣٠هـ) تحقيق ودراسة، وطبعته مستقلًا بفضل الله تعالى ويحوي جملة من مغازي رسول ﷺ إضافة إلى جوانب أخرى هامة في حياته ﷺ ابتداء من زمن مولده وانتهاء بوفاته وبيعة أبي بكر الصديق ﷺ، ولهذا الكتاب قيمة علمية لأن مؤلفه من كبار المحدثين من شيوخ البخاري (رحمه الله)، ورواياته في هذا الكتاب كلها مسنده ومن هنا تأتي قوتها وأهميتها.

ويأتي هذا العمل الجديد الذي بين يديكم وهو مجموعة من الأبحاث ذات الصلة بسيرة الرسول ﷺ طرحتها في مؤتمرات علمية متفرقة في المملكـة وفي بعـض دول الخلـيج والـدول العربيـة ونشـرت في أعمـال تلـك الملتقيـات

العلمية، إلا أنني آثرت إعادة نشرها مرة أخرى في كتاب مستقل لوجود شيئ من الترابط بينها، ولوجود فائدة في جمعها للمختصين في علم السيرة لعل الله أن ينفع بها، وقد احترت كثيرًا في جمعها في كتاب واحد وعنوان يربطها جميعًا حتى استقر العنوان لهذا المجموع (**أبعاد إدارية واقتصادية واجتماعية وتقنية في السيرة النبوية**)ويأتي ضمن تلك الأبحاث.

البحث الأول: مبادئ التخطيط والإدارة في السيرة النبوية.

والذي ألقي ضمن أعمال اللقاء العلمي السنوي الرابع المنعقد في الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة في صفر ١٤٢٣هـ ونال استحسان الحضور بفضل الله ونشر في أعمال الملتقى المذكور.

وهذا البحث يبين الأسلوب النبوي في الإدارة سواء للدولة الإسلامية وأفرادها العاملين مع الرسول ﷺ أو لادارته ﷺ للأزمات ما يجعل الباحث يحس أن كثيرًا من المعجبين بأساليب الإدارة الحديثة لم يعلموا سبق رسول ﷺ لتلك الأساليب التي نادى بها المتأخرون ويأتي على رأس ذلك الإدارة بالأهداف التي هلل لها الكثير في العصور المتأخرة، وقد حاولت التطرق في هذا البحث للعديد من الجوانب الإدارية في السيرة النبوية وقارنتها بنظريات الإدارة المعاصرة من خلال مصادرها الحديثة ومع الجهد في هذا البحث إلا أن لدي قناعة أن البحث لا زال قاصرًا وأن الموضوع بحاجة لمزيد من الأبحاث من ذوي الاختصاص في الموضوع وخصوصًا من يمكنهم الجمع

بين علم السيرة وعلم الإدارة الحديث وهذا ليس صعبًا وأدعوا الزملاء لإجراء المزيد من الأبحاث حول هذا الموضوع.

وانشره في هذا المجموع بوضعه وأسأل الله أن يسير لي مزيدًا من البركة في العلم والوقت للإضافة عليه مستقبلًا.

البحث الثاني: التجارة الخارجية للجزيرة العربية في عصر الرسول ﷺ وخلفائه الراشدون.

وهو بحث ألقي في مؤتمر إتحاد المؤرخين العرب في القاهرة ١٤٢٣هـ ونشرته مجلة دارة الملك عبد العزيز في الرياض محرم١٤٢٤هـ.

ويتطرق البحث إلى العلاقات الخارجية التجارية للجزيرة العربية في العصر النبوي والراشدي ويتضمن أهم مراكز التجارة العربية ذات العلاقة الخارجية ومراكز التجارة العالمية ذات العلاقة بها.

كما يتضمن البحث الحديث عن المعاهدات التجارية التي تيسر الوصول للتجارة الخارجية سواء كانت تلك المعاهدات داخل الجزيرة العربية أو خارجها لكنها تحقق نفس الهدف كما تطرق البحث إلى حجم التجارة الخارجية وأهم السلع المتبادلة بما فيها الصادرات والواردات والعملات والنقود المستعملة للتبادل التجاري، وقد كانت الشواهد التاريخية من العصرين النبوي والراشدي والذي لم يتغير في هذا الجانب كثيرًا كأسس وأنظمة حيث أولت التعليمات النبوية الاقتصاد وتنمية وتأمين التجار

وحفظ حقوقهم ووصول التجارة آمنة أهمية خاصة وطبقت هذه التعليمات في العصر الراشدي الذي هو ثمرة للغرس النبوي الكريم.

البحث الثالث: وعنوانه أثر أمهات المؤمنين (رضي الله عنهن) في المجتمع المدني: عهد معاوية بن أبي سفيان ﷺ نموذجًا.

وإن كان هذا البحث يتحدث بالدرجة الأولى عن حياة أمهات المؤمنين في عصر معاوية بن أبي سفيان ﷺ إلا أن الحديث عن أمهات المؤمنين جزء من سيرة الرسول ﷺ والتاريخ لبيت النبوة، وهن زوجات النبي ﷺ علمهن وأعدهن بوحي الله للتعلم من بعده ﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا**﴾ (٣٤) [الأحزاب]، وبالتالي كانت حياتهن بعد ذلك تطبيق لهذه الآية الكريمة، فكن معلمات ومصلحات اجتماعيات ومرجعًا للأمة عامة، فجاء هذا البحث ليغطي هذا الجانب في عهد معاوية وليس ببعيد عن عهد الرسول ﷺ وعصر الراشدين من الناحية الزمنية.

وقد ألقي هذا البحث في المؤتمر الخامس لتاريخ الجزيرة العربية (العصر الأموي) المنعقد في رحاب جامعة الملك سعود بالرياض في سنة ونشر ضمن أعمال المؤتمر.

البحث الرابع: وعنوانه الحاسب الآلي واستخداماته في علم السيرة.

وهو محاولة مني في وقت البحث لرصد الاستخدامات الجارية للحاسب في خدمة السيرة النبوية، بذلت فيه جهدًا في التعرف على ما يخدم الباحث للسيرة سواء المواقع الالكترونية دون حصر لها أو تسمية إذ أنها تبلغ مئات الألوف وكذلك ما نزل في الأسواق من أقراص مدمجة تخص السيرة النبوية والتي حاولت اقتناء كل ما رأيته منها سواء في المملكة أو الإمارات أو مصر وغيرها وفى تصوري أنني حصرت أهمها في زمن البحث بل أستطيع القول كل ما هو معتبر ومتداول في محلات بيع الأقراص المدمجة مما يخدم السيرة في حينه وأجريت على تلك الأقراص دراسة خاصة وحكمًا سريعًا على كل منها على حده بعد تصنيفها وهي دراسة تخدم المستخدم للحاسب من متعلمي ومعلمي السيرة النبوية إلا أن الدراسة ترتبط بوقتها فقد تصدر أقراص وأساليب جديدة في أي وقت وبالتالي فهي لم تدرج في البحث واستخدامات الحاسب ومواده تتغير في كل ساعة كما نعرف جميعًا. وقد ذيلت البحث ببعض التوصيات حول الموضوع، وقد ألقي البحث في الملتقى العلمي لجمعية السعودية التاريخية المنعقد في مكة المكرمة ١٤٢٥هـ.

البحث الأول

مبادئ التخطيط والإدارة في السيرة النبوية

تمهيد:

لقد بعث رسول الله ﷺ رحمة للعالمين فهو آخر الأنبياء، وقد تميز عنهم بأنه (جمع بين الدين القويم وسياسة الدنيا) في وقت واحد حيث تشرف بالنبوة وشغل منصب رأس الدولة، ولذلك فقد أراد ﷺ أن يضبط أمور الدولة والدعوة بأنظمة وولايات (ومناصب وعمالات) ووظائف استقامت بها الدولة وسارت أحوالها ونظمت قوتها البشرية والمالية والاجتماعية، والأمنية، وسائر أمورها، وقد ظهرت خلال أحداث السيرة النبوية مبادئ معينة للسياسة الإدارية النبوية يمكن استشعارها ودراستها، ومقارنتها بمبادئ الإدارة خلال العصور المختلفة كان ﷺ أُميا لم يقرأ ولم يكتب، وكان من مجتمع بدائي لا يعرف الثقافة ولا الإدارة، ولا النظام في كثير من الأحيان، ومع هذا فقد كانت تصرفات رسول الله ﷺ المختلفة أرقى التصرفات وأصوب التحركات في مختلف الأمور ودراسة حوادث السيرة وما يرتبط بها من مسببات ونتائج تعطي الدارس للإدارة وأمورها انطباعًا بأنه أمام قائد إداري مميز وفذ ليس له مثيل عبر التاريخ البشري كله، ولذلك فلا غرابة أن يقوم الكاتب الأمريكي مايكل هارت في كتابه، **(أعظم مائة رجل في تاريخ البشرية)**، باختيار رسول الله ﷺ كأعظم مؤثر في حياة البشرية ويمهد لذلك بقوله: (إن اختياره لمحمد ليكون في رأس القائمة التي تضم الأشخاص الذين كان لهم أعظم تأثير عالمي في مختلف المجالات، إن هذا الاختيار ربما أدهش كثيرًا من القراء إلى حد أنه قد يثير

التساؤلات، ولكن في اعتقاد المؤلف أن محمد ﷺ كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي).[١]

ويقول في موضع أخر يقول: (إن هذا الاتحاد الفريد الذي لا نظير له للتأثير الديني والدنيوي معًا مما يخول محمدًا ﷺ أن يعتبر أعظم شخصية مفردة ذات تأثير في تاريخ البشرية).[٢]

مفهوم الإدارة:

علم الإدارة علم حديث لم تعرف نظرياته في العالم الغربي إلا حديثًا وإن كان معروف عمليًا وواقعيًا بأشكال مختلفة وخصوصًا في تنظيم الدول وإدارتها منذ أقدم العصور.

ومن الملاحظ أن الدارسين لعلم الإدارة ركزوا على دراسة النظريات الغربية في مجال الإدارة ومختلف الشواهد فيها، مركزين فيها على النظريات والسلوكيات والمدارس الغربية في مجال الإدارة وتناولوها نقدًا وتحليلًا من قبل رواد علم الإدارة بمن فيهم علماء الإدارة في العالم العربي.[٣]

---

(١) مايكل هارت، **المائة الأوائل**، ترجمة خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو، دار قتيبة، للطباعة والنشر والتوزيع، ص، ٢١ (ومن الجدير بالذكر أن الكاتب لا يؤمن بنبوة الرسول ﷺ وبالتالي فإن على القارئ له مراعاة هذا الجانب).

(٢) مايكل هارت، **المائة الأوائل**، ص٢١.

(٣) انظر: الهواري، د.سيد، **الإدارة (الأصول والأسس العلمية)**، ص ٥٨٣.

وتجاهل الكثير منهم ما كان للمسلمين من دور كبير في التأليف في الإدارة قبل الغربيين بقرون عديدة، وخصوصًا ما يتعلق بإدارة الدولة من كتب (**الأحكام السلطانية**) والنظم الإسلامية المختلفة التي كثر التأليف فيها منذ العصر العباسي الأول.(٤)

والتي كان إعتمادها بالدرجة الأولى على شواهد تنظيمية من العصر النبوي وعصر الراشدين.

وقد اختلفت تعريفات الإدارة وهي في مجملها تخلص إلى أنها علاقات بين أفراد مختلفين لإنجاز أعمال محددة.

ومنهم من يرى أن الإدارة مجرد معرفة ما هو مطلوب عمله من الأفراد ثم التأكد من أنهم يؤدون هذا العمل بأحسن وأرخص الطرق، ورأى آخرون هي التنبؤ والتخطيط والتنظيم والقيادة والتنسيق والرقابة.

ويرى آخرون أنها سياسة التنسيق بين النواحي المالية والإنتاج والتوزيع

---

(٤) انظر مثلاً: ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن عبد السلام(ت٧٢٨ هـ)، **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية**، ط٤، دار المعرفة بيروت، ١٩٦٩م. السهروردي: أبو الحسن محمد البغدادي، **تحرير الأحكام في السياسة**، مخطوط في مكتبة السليمانية بإسطنبول، تحت رقم ٢٨٥٢. الفراء: أبو يعلى محمد بن الحسين الحنبلي (ت٤٥٨هـ)، **الأحكام السلطانية**، تصحيح وتعليق محمد حامد الفقي، مكتبة أحمد نبهان، سربايا، أندونيسيا، ١٣٩٤هـ. الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب(ت٤٥٠هـ).**الأحكام السلطانية**، دار الفكر، بيروت (د.ت). **نصيحة الملوك**، تحقيق محمد خضر، ط١، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٣هـ.

وتحديد الهيكل التنظيمي للمشروع والرقابة النهائية على أعمال التنفيذ... ويرى آخرون أن الإدارة هي الشرارة التي تنشط وتوجه وتراقب خطط وإجراءات المشروع ... ويرى آخرون بأنها عملية خلق البيئة الداخلية للجهد المنظم بغرض تحقيق الأهداف الجماعية ... وهناك من يرى أن الإدارة هي عملية اجتماعية يترتب عليها المسؤولية عن التخطيط الفعال ووضع اللوائح الخاصة بالعمليات في المشروع ... وذلك بعمل إجراءات عمل سليمة لضمان الالتزام بالخطط المقررة والتوجيه والإشراف على الأفراد العاملين بالمشروع وتحقيق أهداف التكامل بينهم.

كما يرى البعض أنها وظيفة تسعى إلى تحقيق الأهداف المشتركة بالموارد المتاحة، ويرى آخرون أنها وظيفة من شأنها أداء أعمال عن طريق أفراد آخرين وتوجيه جهود هؤلاء الأفراد نحو هدف مشترك.(٥)

ويعرف د. مدني علاقي، (الإدارة هي العملية الخاصة بتنسيق وتوحيد جهود العناصر البشرية في المنظمة من مواد وعدد ومعدات وأفراد وأموال عن طريق تخطيط وتنظيم وتوجيه ومراقبة هذه الجهود من أجل تحقيق الأهداف النهائية للمنظمة).(٦)

---

(٥) بتصرف من هاشم: د. زكي محمود، **أساسيات الإدارة**، ط٣، ذات السلاسل، الكويت، ١٤١٤هـ.

(٦) علاقي: د. مدني، **الإدارة**، دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية، ص٢٢، نقلاً عن الضحيان، **الإدارة في الإسلام**، ص٢٢.

كما عرف أحد الباحثين الإدارة مستقيًا هذا التعريف من مفاهيم ابن خلدون في مقدمته: (أنها تعني استخدام العاملين لتحقيق الأهداف العامة والخاصة التي في بداياتها ونهاياتها خدمة من أجل الإنسان ومجتمعه).(٧)

كما أن مهمة الإدارة هي: (تشغيل البشر لما فيه مصلحتهم).(٨)

وعلى المدير أن (يسعى إلى معرفة الوضع الاجتماعي وما يوافق هذا المجتمع وما لا يوافقه وأن يؤسس هذه المعرفة على علم ومعرفة ومعلومات صحيحة).(٩)

وأما في القرآن الكريم فقد وردت الإدارة في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٢٨٢)[البقرة].

ولم أقف على لفظ نبوي عن الإدارة بمفهومها المعروف حاليًا وقد ورد عند شراح الحديث شئ مما نسب للسنة ومن ذلك ما أورده الأحوذي في

---

(٧) الضحيان: د. عبدالرحمن إبراهيم، **الإدارة في الإسلام**، ط١، دار الشروق، جدة، ١٤٠٧هـ ص٣٩.

(٨) الضحيان: د. عبدالرحمن إبراهيم، **الإدارة في الإسلام**، ط١، دار الشروق، جدة، ١٤٠٧هـ، ص٣٨.

(٩) الضحيان: د. عبدالرحمن إبراهيم، **الإدارة في الإسلام**، ط١، دار الشروق، جدة، ١٤٠٧هـ، ص٣٩.

شرحه لصحيح الترمذي في حديث طويل منسوب للنبي ﷺ وهو ضعيف عنده وعند غيره بقوله: (اللَّهُمَّ أَدِرْ الْحَقَّ" أَمِرَّ مِنْ الْإِدَارَةِ أَيْ اِجْعَلْ الْحَقَّ دَائِرًا وَسَائِرًا " حَيْثُ دَارَ" يعني علي بن أبي طالب).(١٠)

ومع اختلاف هذه التعريفات من قبل المختصين في علم الإدارة فإن المعنى واحد وهو تحقيق الأهداف عن طريق التنظيم واستخدام الموارد واستغلال الطاقات.

وقد تنوعت فنون الإدارة وأقسام التأليف فيها، في الوقت الحاضر، فمنها ما ألف في الإدارة الحديثة،(١١) ومنها ما ألف في أسباب النجاح الإداري،(١٢) ومنا ما ألف في الإدارة الإنتاجية،(١٣) ومنها ما ألف في الإدارة بالأهداف والنتائج،(١٤) ومنها ما ألف في الأصول والأسس العلمية للإدارة،(١٥) ومنا ما ألف في إدارة التغيير،(١٦) ومنا ما ألف في نظريات

---

(١٠) المباركفوري، **تحفة الأحوذي**، حديث رقم ٣٦٤٧.

(١١) انظر: المصري: د. أحمد محمد، **الإدارة الحديثة**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٤١٦هـ.

(١٢) انظر: السويدان: د. طارق محمد. وباشراحيل: د. فيصل عمر، **صناعة النجاح**، ط٢، دار الأندلس الخضراء، جدة، ١٤٢١هـ.

(١٣) انظر: السلمي: د. علي، **إدارة الإنتاجية**، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٩١م.

(١٤) انظر: الهواري: د. سيد، **الإدارة بالأهداف والنتائج**، ط٤، مكتبة عين شمس بالقاهرة، ١٩٩٩م.

(١٥) انظر مثلاً: الهواري، **الإدارة الأصول والأسس العلمية**، مكتبة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٧م.

(١٦) انظر: ويلسون: دافيد، **استراتيجية التغيير**، ترجمة تحية عمارة، مراجعة شفيق رزق الله، ط١، دار الفجر، القاهرة، ١٩٩٥م.

التطوير الإداري،[١٧] ومنها ما ألف في أساسيات الإدارة والتنظيم،[١٨] والإدارة الاستراتيجية،[١٩] والاتصالات الإدارية،[٢٠] كما ألفت كتب مختلفة في الإدارة في الإسلام،[٢١] وحصر الفنون أو الكتب الإدارية مما يستحيل ويحتاج إلى مجلدات لكن ما ذكرته هنا هو أمثلة لبعض ما يتداوله الناس في المكتبات من كتب ذات علاقة بالموضوع.

وأما التأليف في الإدارة النبوية فإن من أقدم من ألف فيها الخزاعي التلمساني في كتابه (تخريج الدلالات الشرعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية).[٢٢]

---

(١٧) انظر: الأعرجي: د. عاصم وآخرون، **نظريات التطوير الإداري**، ط١، وزارة التعليم، بغداد، ١٤٠٢هـ.

(١٨) انظر: عبدالرحيم: محمد عبدالله، **أساسيات الإدارة والتنظيم**، الشركة العربية للتوزيع، القاهرة، ١٩٩٢.

(١٩) انظر: وهلين: توماس وهنجر: دافيد، **الإدارة الاستراتيجية**، ترجمة محمود عبد الحميد مرسي وآخرون، معهد الإدارة، الرياض، ١٩٨٦م.

(٢٠) انظر: العثيمين: فهد بن سعود بن عبدالعزيز، **الاتصالات الإدارية ماهيتها وأهدافها**، ط٢، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٢١) انظر: الضحيان: د. عبدالرحمن إبراهيم، **الإدارة والحكم في الإسلام**، ط ٤، بدون مكان، (١٤١٧هـ) ص ٣٣٠. الضحيان: د. عبدالرحمن إبراهيم، **الإدارة في الإسلام**، ط١، دار الشروق، جدة، ١٤٠٧هـ.

(٢٢) الخزاعي: أبو الحسن على بن محمد التلمسانى، **تخريج الدلالات السمعية على ماكان فى عهد الرسول ﷺ من الحرف الصنائع والعمالات الشرعية**، تحقيق أحمد محمود أبو سلامة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٤٠١ هـ.

وكذلك ما ألفه عبد الحي الكتاني في كتابة المشهور التراتيب الإدارية أو(نظام الحكومة النبوية).(٢٣)

والأعمال الإدارية لها عمليات رئيسة أربع هي(التخطيط والتنظيم، والتوجيه والرقابة) وهذه الأمور نجدها في كل أنواع الإدارة العامة والخاصة،(٢٤) ونجد لها شواهد مختلفة من أحداث السيرة النبوية، ومن أحكام الشريعة المختلفة التي طبقها ومارسها رسول الله ﷺ والمجتمع المسلم في أيامه.

والإدارة (تلازم كل جهد جماعي في المؤسسات الدينية والخيرية... في المستشفيات أو المستوصفات أو في المنزل ...الخ كما أن الإدارة تصاحب الجهد الجماعي بغرض تحقيق مصلحة عامة منفعة عامة).(٢٥)

ولاشك أن إدارة الرسول ﷺ للمجتمع المسلم أثرت وتأثرت بالظروف البيئية المختلفة التي عاصرته سواء منها الأخلاقية الدينية التي أثر فيها رسول الله ﷺ أو الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتي غير فيها رسول الله ﷺ أكبر تغيير، كما أنها بمحدوديتها وبالبيئة التي وجدت فيها وإمكانيات الزمان والمكان كان لها تأثير مباشر في أسلوب الإدارة النبوية،

---

(٢٣) الكتاني: عبدالحي بن عبد الكبير، **نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية**، ج ٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت (د.ت).

(٢٤) الضحيان: د. عبدالرحمن إبراهيم، **الإدارة في الإسلام**، ص٢٣.

(٢٥) الهواري، **الإدارة الأصول والأسس العلمية**، ص ٥٠٧.

التي يمكن اعتبارها إدارة حكومية ومؤسسية شبه حكومية، إدارة دينية واقتصادية، إدارة اجتماعية إدارة أسرية وعائلية، إدارة عسكرية، إدارة أزمات، إدارة تطبيقية، إدارة مشتركة، إلى غير ذلك من جوانب وأنواع الإدارة التي نراها ماثلة في سيرة الرسول ﷺ يمكن دراستها والاقتباس منها من خلال المواقف والأحداث المختلفة.

ورغم كثرة الدراسات عن الإدارة الإسلامية وفكرها وتطبيقاتها في العصور المختلفة عبر الدول الإسلامية التي امتدت خمسة عشر قرنًا، إلا أن أصول هذه الممارسات ومستنداتها الشرعية وسوابقها النظامية تعود إلى العصر النبوي الذي لم يغطى كما يجب في الدراسات الإدارية من وجهة نظري كما غطيت العصور الإسلامية الأخرى.

مفهوم التخطيط:

هو من: (الخَط الطريقة المستطيلة في الشيء والجمع خُطوط وقد جمعه العجاج على أخْطَاط فقال وشمن في الغبار كالأخطاط ويقال الكلأ خُطوط في الأرض أي طرائق لم يعم الغيث البلاد كلها، واحدتها و الخَط الطريق يقال إلزم ذلك الخَط ولا تظلم عنه و خَط القلم أي كتب و خَط الشيء يخطه خطًا كتبه بقلم أو غيره، والتخطيط التسطير التهذيب التخطيط كالتسطير تقول خططت عليه ذنوبه أي سطرت).[٢٦]

(٢٦) ابن منظور، **لسان العرب**، ج ٧، ص ٢٨٧.

ويقال : (فلان يخط في الأرض إذا كان يفكر في أمره ويدبره وثوب مُخَطَّطَ وكساء مُخَطَّطَ فيه خُطوط وكذلك تمر مخطط ووحش مخطط و خط وجهه و اختط صارت فيه خطوط و اختط الغلام أي نبت عذاره و الخُطة كالخط كأنها اسم للطريقة ... و الخَط الطريق و الخَط و الخُطة الأرض تنزل من غير أن ينزلها نازل قبل ذلك وقد خطها لنفسه خطا واختطها وهو أن يعلم عليها علامة بالخط ليعلم أنه قد إحتازها ليبنيها دارا ومنه خُطَطَ الكوفة والبصرة).[٢٧]

والخِطة إذا أذن السلطان لجماعة من المسلمين أن يختطوا الدور في موضع بعينه ويتخذوا فيه مساكن لهم كما فعلوا بالكوفة والبصرة وبغداد وإنما كسرت الخاء من الخطة لأنها أخرجت على مصدر بني على فعله وجمع الخِطة خِطَطَ...يقال خِط للمكان الذي يختطه لنفسه من غير هاء يقال هذا خِط بني فلان قال والخَط الطريق يقال الزم هذا الخَط.[٢٨]

وقد عرف أحد علماء الإدارة التخطيط بأنه : (الوظيفة الإدارية الأولى للقيام بأي نشاط من الأنشطة ويتطلب القيام به بنجاح تحليل البيانات عن الماضي واتخاذ قرار في الحاضر وتقييم للمستقبل).[٢٩]

---

(٢٧) ابن منظور، **لسان العرب**، ج ١ ، ص ٢٨٨.

(٢٨) ابن منظور، **لسان العرب**، ج ١ ، ص ٢٨٩.

(٢٩) عبد الرحيم ، محمد عبدالله ، **أساسيات الإدارة والتنظيم**، ص ١٧١.

ويمكن تلخيص التخطيط بأنه الاستعداد في الحاضر لما يواجهه الإنسان في المستقبل والسير على طريقة ونمط خاص ومدروس لتحقيق أهداف حاضرة ومستقبلة.

وقد كانت حياة رسول الله ﷺ ومراحل سيرته المختلفة تسير وفق خطط مدروسة مبنية على معرفة الواقع وتوقع المستقبل والمساهمة في تسيير الأمور حاضرة ومستقبلة، وما سرية الدعوة واختفاء الرسول في دار الأرقم وأمره أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، وعرض نفسه على القبائل وهجرته إلى المدينة، وكافة تحركاته إلا وفق خطط مدروسة ومحددة.

وكذلك الحال في كل غزوة وحادثة من حوادث السيرة نلاحظ فيها التخطيط المسبق مثل غزوة بدر وغزوة الأحزاب، وغزوة خيبر، وفتح مكة وغيرها من الوقائع والسرايا المختلفة في السيرة النبوية.

كما أن الرسول ﷺ خطط لتحصين المدينة في الخندق المشهور وقام بتخطيطه ورسمه بنفسه على الأرض، وتحديد مواقع الحفر ومسير الخندق وعمل مع الصحابة فيه لتقوية دفاعات المدينة ضد أعدائها،(٣٠) كما أنه خطط لحشد كل الطاقات العسكرية البشرية لصد تلك الموجة المعادية من الأحزاب.

---

(٣٠) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج ٣، ص ٢١٦.

التنظيم وترتيب المسؤوليات:

من المعروف أن الرسول ﷺ شرف بمرتبة النبوة وهي أعلى المراتب البشرية ومع هذا التشريف فقد كان ﷺ رأس المجتمع المسلم منذ بداياته الأولى في مكة المكرمة، وحين قامت دولة الإسلام في المدينة كان ﷺ يدير شؤونها بنفسه ويرأس الدولة ومسؤولياتها الدنيوية ويسوس أمورها المختلفة ويكلف غيره من الصحابة بمسؤوليات محددة وبطريقة منظمة.

وقد قَالَ تَعَالَى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ**﴾.(٣١) فَجَعَلَ دَلِيلَ ابْتِدَاءِ الْإِيمَانِ الَّذِي مَا سِوَاهُ تَبَعٌ لَهُ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ، ثُمَّ بِرَسُولِهِ ﷺ.

ثم التنظيم والاستئذان من المسؤول والشعور بترتيب الأمور وعدم إفساد النظام والتخلي عن الواجبات واحترام القيادة والمسؤولية.

ومن أكبر الشواهد على ذلك أنه ﷺ حينما بايعه الأنصار بيعة العقبة الثانية طلب منهم أن يخرجوا له نقباء من بينهم يكونون مسؤولين عن الآخرين لتلقي الأوامر ومتابعة التنفيذ كل فيما يخصه،(٣٢) كما أنه ﷺ كان حريصًا على الترتيب والتنظيم باستمرار وكانت أوامره في هذا الجانب قوية وواضحة، في أمور العبادة والجهاد وما يتبع ذلك من أمور أخرى.

---

(٣١) **سورة النور**، آية ٦٢.

(٣٢) ابن أبي شيبة، **المغازي**، ص ٤٦٥. وانظر: الصالحي الشامي، **سبل الهدى والرشاد**، ج٣، ص ٢٨١.

وقد كان ﷺ يوصي أصحابه بتنظيم أمورهم فقد روى الأمام أحمد بن حنبل في مسنده أن رسول الله ﷺ قال: لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم.(٣٣)

كما أنه ﷺ كان يبعث الجيوش والسرايا المختلفة ويكلف أحد الصحابة بإمارتها وقيادتها.

بل إنه ﷺ حينما دخل مكة وهو على رأس جيش المسلمين نظم فرق الجيش الفاتحة بدقة وحدد لكل فرقة قيادة ومنفذ وموقع ومهام بدقة متناهية حتى يضمن للمسلمين ولأهل مكة أكبر قدر من النظام والسلامة والأمن.

بل إن الرسول ﷺ يتخذ الاحتياطات المختلفة حتى لا يشغر منصب الأمارة والقيادة والمسؤولية فهاهو في غزوة مؤته (اسْتَخْلَفَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى جَيْشِ مُؤْتَةَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وَقَالَ فَإِنْ أُصِيبَ فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَإِنْ أُصِيبَ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَإِنْ أُصِيبَ فَلْيَرْتَضِ الْمُسْلِمُونَ رَجُلًا فَتَقَدَّمَ زَيْدٌ فَقُتِلَ فَأَخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرٌ وَتَقَدَّمَ فَقُتِلَ فَأَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَتَقَدَّمَ فَقُتِلَ فَاخْتَارَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَهُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ).(٣٤)

ولعل تصرف الصحابة رضي الله عنهم في اختيار خالد أكبر دليل على نجاح الرسول ﷺ في تربية أصحابه على النظام والترتيب وأن لا يتركوا المسؤولية شاغرة دون قيادة.

---

(٣٣) **مسند الإمام أحمد**، ج٢، ص ١٧٧.

(٣٤) الماوردي، **الأحكام السلطانية**، ص ١٦. وانظر: ابن أبى شيبة، **المغازى**، ص ٣٦٧.

كما كان ﷺ ينظم البلدان المختلفة حينما تدخل تحت لواء الدولة الإسلامية حيث يعين عليها الأمراء ويحدد لهم مسؤوليات خاصة ويعين لهم من يقومون بمهام أخرى مساعدة مثل القضاء وتنظيم بيت المال أو أعمال الزكاة وغيرها من الأمور التي يحتاجها الإقليم أو البلد الذي دخل تحت نظام الدولة الإسلامية.(٣٥)

{(وقد كان ﷺ يُقَدِّمُ فِي إمَارَةِ الْحُرُوبِ الرَّجُلَ الْقَوِيَّ الشُّجَاعَ وَإِنْ كَانَ فِيهِ من هُوَ أَصْلَحُ مِنْهُ فِي الدِّينِ إذَا لَمْ يَسُدَّ مَسَدَّهُ) . وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَعْمِلُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ عَلَى الْحَرْبِ مُنْذُ أَسْلَمَ وَقَالَ: (إنَّ خَالِدَ سَيْفٌ سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ). مَعَ أَنَّهُ أَحْيَانًا قَدْ كَانَ يَعْمَلُ مَا يُنْكِرُهُ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى إنَّهُ ـ مَرَّةً ـ قَامَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ إلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: (اللَّهُمَّ إنِّي أَبْرَأُ إلَيْك مِمَّا فَعَلَ خَالِدٌ...... وَمَعَ هَذَا فَمَا زَالَ يُقَدِّمُهُ فِي إمَارَةِ الْحَرْبِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَصْلَحَ فِي هَذَا الْبَابِ مِنْ غَيْرِهِ وَفِعْلُ مَا فَعَلَ بِنَوْعِ تَأْوِيلٍ. كَانَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه أَصْلَحَ مِنْهُ فِي الْأَمَانَةِ وَالصِّدْقِ ؛ وَمَعَ هَذَا فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: (يَا أَبَا ذَرٍّ إنِّي أَرَاك ضَعِيفًا وَإِنِّي أُحِبُّ لَك مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي : لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(٣٥) انظر: الماوردي، **الأحكام السلطانية**، ص ٣٥. الكتاني، **التراتيب الإدارية** ج ٢، ص ٣٩١ ـ ٤٤٧. الخزاعي، **تخريج الدلالات السمعية** ج ١ ص ٥٣٨. العمري، **الولاية على البلدان**، ص ٣٥.

و نَهَى أَبَا ذَرٍّ عَنْ الْإِمَارَةِ وَالْوِلَايَةِ لِأَنَّهُ رَآهُ ضَعِيفًا مَعَ أَنَّهُ قَدْ رَوَى: (مَا أَظَلَّتْ الْخَضْرَاءُ وَلَا أَقَلَّتْ الْغَبْرَاءُ أَصْدَقَ لَهْجَةً مِنْ أَبِي ذَرٍّ). وَأَمَّرَ النَّبِيُّ ﷺ مَرَّةً عَمْرَو بْنَ العاص فِي غَزْوَةِ " ذَاتِ السَّلَاسِلِ - اسْتِعْطَافًا لِأَقَارِبِهِ الَّذِينَ بَعَثَهُ إلَيْهِمْ - عَلَى مَنْ هُمْ أَفْضَلُ مِنْهُ. وَأَمَّرَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ؛ لِأَجْلِ طَلَبِ ثَأْرِ أَبِيهِ. كَذَلِكَ كَانَ يَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ لِمَصْلَحَةِ رَاجِحَةٍ مَعَ أَنَّهُ قَدْ كَانَ يَكُونُ مَعَ الْأَمِيرِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ فِي الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ

وقد كان ﷺ إذا رأى أن الْحَاجَةُ فِي الْوِلَايَةِ إلَى الْأَمَانَةِ أَشَدَّ قُدِّمَ الْأَمِينُ: مِثْلُ حِفْظِ الْأَمْوَالِ وَنَحْوِهَا ؛ فَأَمَّا اسْتِخْرَاجُهَا وَحِفْظُهَا فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنْ قُوَّةٍ وَأَمَانَةٍ فَيُوَلَّى عَلَيْهَا شَادٌّ قَوِيٌّ يَسْتَخْرِجُهَا بِقُوَّتِهِ وَكَاتِبٌ أَمِينٌ يَحْفَظُهَا بِخِبْرَتِهِ وَأَمَانَتِهِ. وَكَذَلِكَ فِي إمَارَةِ الْحَرْبِ إذَا أَمَرَ الْأَمِيرُ بِمُشَاوَرَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ جَمَعَ بَيْنَ الْمَصْلَحَتَيْنِ ؛ وَهَكَذَا فِي سَائِرِ الْوِلَايَاتِ إذَا لَمْ تَتِمَّ الْمَصْلَحَةُ بِرَجُلِ وَاحِدٍ جَمَعَ بَيْنَ عَدَدٍ ؛ فَلَا بُدَّ مِنْ تَرْجِيحِ الْأَصْلَحِ أَوْ تَعَدُّدِ الْمَوْلَى إذَا لَمْ تَقَعْ الْكِفَايَةُ بِوَاحِدٍ تَامٍّ.

وَيُقَدَّمُ فِي وِلَايَةِ الْقَضَاءِ: الْأَعْلَمُ الْأَوْرَعُ الْأَكْفَأُ ؛ فَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا أَعْلَمَ وَالْآخَرُ أَوْرَعَ ؛ قُدِّمَ - فِيمَا قَدْ يَظْهَرُ حُكْمُهُ وَيُخَافُ فِيهِ الْهَوَى - الْأَوْرَعُ ؛ وَفِيمَا يَدُقُّ حُكْمُهُ وَيُخَافُ فِيهِ الِاشْتِبَاهُ: الْأَعْلَمُ. فَفِي الْحَدِيثِ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: (إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْبَصَرَ النَّافِذَ عِنْدَ وُرُودِ الشُّبُهَاتِ وَيُحِبُّ الْعَقْلَ الْكَامِلَ عِنْدَ حُلُولِ الشَّهَوَاتِ)}.[٣٦]

---

(٣٦) ابن تيمية، **الفتاوى**، ج ٢٨؛ ص٢٥٥ - ٢٥٨.

وقد ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْثًا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمَارَتِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (أَنْ تَطْعُنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ وَايْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ).[٣٧]

ولتمام التنظيم فقد كان ﷺ يأمر البقية بالسمع والطاعة للأمراء والقادة بالمعروف

وقد قَالَ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: (عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِي عُسْرِهِ وَيُسْرِهِ وَمَنْشَطِهِ وَمَكْرَهِهِ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ) وَقَالَ ﷺ: (لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ) من مجموع الفتاوى.

ومع هذه الأوامر الصارمة بالسمع والطاعة فقد كان ﷺ يوصي بالطاعة في المعروف وعدم الاستجابة للأخطاء التي يصدرها المسؤولون فقد ورد (عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ جَيْشًا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا فَأَوْقَدَ نَارًا فَقَالَ ادْخُلُوهَا فَأَرَادَ نَاسٌ أَنْ يَدْخُلُوهَا وَقَالَ آخَرُونَ إِنَّمَا فَرَرْنَا مِنْهَا فَذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِلَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا لَوْ دَخَلْتُمُوهَا لَمْ تَزَالُوا فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَقَالَ

---

(٣٧) **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، ص ٣٤٥١.

لِلْـآخَرِينَ قَوْلًـا حَسَنًا وَقَـالَ لَـا طَاعَـةَ فِـي مَعْصِـيَةِ اللَّـهِ إِنَّمَـا الطَّاعَـةُ فِـي الْمَعْرُوفِ). (٣٨)

وقد كان كل موظف وعامل له مسؤوليات محددة سواء كانت دينية أو دنيوية، فالمؤذن مستأمن على الوقت ومسؤول عن متابعة الإمام فيما لوتأخر، مع أن الإمام أعلى منه منصبًا. (٣٩)

والقاضي وظيفته العدل بين الناس، وقد حددت له الطرق والوسائل المعينة على ذلك. (٤٠)

وهكذا فإن الأمثلة للوظائف في العهد النبوي كثيرة ويصعب حصرها إلا أن كل وظيفة أو عمالة منها لها واجبات محددة. (٤١)

إدارة الموارد البشرية:

من المعلوم أن الإدارة تعتمد في تنفيذ أعمالها وتحقيق أهدافها على القوى البشرية القادرة على تحقيق الأهداف المنشودة.

ولذلك فقد اهتم الرسول ﷺ بالقوى البشرية العاملة معه في إدارة شؤون الدولة والدعوة الإسلامية، ويعتبر الاهتمام بالمساعدين والقوى العاملة من

---

(٣٨) **مسند الإمام أحمد**، حديث رقم ٦٨٦.

(٣٩) ابن حجر، **فتح الباري**، شرح الحديث رقم ٦٤٣.

(٤٠) ابن حجر، **فتح الباري**، شرح الحديث رقم ٥٢٠٤.

(٤١) انظر: الكتاني، **التراتيب الإدارية**، ج ١، ص٥٠.

أهم الأولويات في الإدارة القديمة والحديثة بل وروحها التي تعتمد عليها.(٤٢)

ولعل عملية الإحصاء التي أمر بها رسول الله ﷺ لسكان المدينة المنورة بعد فترة من الهجرة من أكبر الأدلة على الاهتمام بمعرفة القوة البشرية وتقديراتها فقد ورد أن الرسول ﷺ أمر بإحصاء المسلمين في قوله اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس يقول حذيفة بن اليمان فكتبنا له ألفًا وخمسمائة رجل(٤٣) وإن كان الأمر لا يخص الإدارة مباشرة لكنه يعطي مفهومًا خاصًا حول الاهتمام بالطاقات البشرية ودراستها.

ونظام المجتمع المسلم في العصر النبوي تمثل في بداياته الأولى في المدينة المنورة وخصوصًا أن العاملين مع الرسول ﷺ ينتمون لعنصرين رئيسين هما المهاجرون والأنصار وهم الذين قاموا بمعظم المهام الإدارية في دولة الرسول ﷺ وكانت لهم سماتهم الخاصة الموصوفة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (٩)[الحشر].

كانت لهم صفات المؤمنين الباذلين لأنفسهم وأموالهم في سبيل الله

---

(٤٢) انظر: د.يفد رتشمان وآخرون، **الإدارة المعاصرة**، ترجمة د. رفاعي محمد رفاعي ومحمد سيد أحمد عبدالمتعال، دار المريخ، الرياض، ص٢٤٧.

(٤٣) الخزاعي، **تخريج الدلالات السمعية**، ص١٠.

والحافظين للأمانة ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ(١)الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ(٢)وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ(٣)وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ(٤)وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ(٥)إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ(٦)فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ(٧)وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ(٨)﴾ [المؤمنون].

ومن هنا فقد سعى الإسلام إلى تقوية الوازع الديني وخشية الله عند الفرد والإحسان في العمل وبالتالي كان لذلك مرده على من كلفوا بأعمال مختلفة ذات صلة بخدمة المجتمع المسلم ودعوته وإدارة شؤونه المختلفة كما أن الرسول ﷺ كان يأمر بالهجرة لمن اسلم من القبائل المختلفة ويجمع الطاقات المسلمة في المدينة المنورة ويحث على زيادة عددهم بشتى الطرق ليكونوا صالحين عاملين نشيطين في المجتمع المسلم الناشئ ومساعدين في إدارته وتنظيمه وتحقيق أهدافه المختلفة.

التكليف بالعمل (التعيين):

إن كل عملية تتطلب تحديد القيادات البشرية أو الأفراد العاملين فيها يتوقف عليها اختيار الأشخاص القائمين على العمل، ولقد دلت أحداث السيرة النبوية على وجود شواهد معينة عن اختيار الأشخاص، وأن الأساس فيها هو القدرة على العمل (فقد ورد عن أبي ذر قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي قَالَ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي ثُمَّ قَالَ يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ

ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةُ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا).(٤٤)

وقد كان ﷺ يخشى تدافع الناس على المسؤولية وتحملها ممن لا يقدرون عليها مما يوقع المسؤول عن التعيين في حرج، ومما يوصل غير القادرين للمناصب ولذلك كان ﷺ ينهى عن التطلع للقيادة والإمارة (فقد ورد عن عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَمُرَةَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ لَا تَسْأَلْ الْإِمَارَةَ فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا وَإِنْ أُوتِيتَهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا).

كما ورد عنه ﷺ التحذير من الحرص على الإمارة فيما رواه أبو هُرَيْرَةَ (عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ وَإِنَّهَا سَتَكُونُ نَدَامَةً وَحَسْرَةً فَنِعْمَتِ الْمُرْضِعَةُ وَبِئْسَتْ الْفَاطِمَةُ).(٤٥)

ومع هذه الكراهية للمناصب القيادية فقد كان الصحابة يتطلعون لمواقف الجهاد والتضحية ويتمنونها وخصوصًا حينما تكون مقرونة بالثناء من النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى (فقد ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مَا أَحْبَبْتُ الْإِمَارَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ قَالَ

---

(٤٤) **صحيح مسلم**، الحديث رقم ٣٤٠٤.

(٤٥) **سنن الترمذي**، ج ٤، حديث رقم ١٤٠.

فَتَسَاوَرْتُ لَهَا رَجَاءَ أَنْ أُدْعَى لَهَا قَالَ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا وَقَالَ امْشِ وَلَا تَلْتَفِتْ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ قَالَ فَسَارَ عَلِيٌّ شَيْئًا ثُمَّ وَقَفَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ فَصَرَخَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى مَاذَا أُقَاتِلُ النَّاسَ قَالَ قَاتِلْهُمْ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ).(٤٦)

وقد نهى الرسول ﷺ عن تعيين أحد للمحاباة والمجاملة فقد ورد عن أبي بكر الصديق ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَحَدًا مُحَابَاةً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا حَتَّى يُدْخِلَهُ جَهَنَّمَ وَمَنْ أَعْطَى أَحَدًا حِمَى اللَّهِ فَقَدْ انْتَهَكَ فِي حِمَى اللَّهِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ أَوْ قَالَ تَبَرَّأَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ).(٤٧)

تعدد السلطات وتوزيع الصلاحيات:

لاشك أن أي تنظيم إداري يتطلب تحديد المسؤوليات ووضوح الصلاحيات، وحينما كان ﷺ يبعث أمرائه إلى مناطق مختلفة كان يحدد لكل منهم منطقة معينة بذاتها يصبح مسؤولًا عنها وحينما بعث معاذ بن

---

(٤٦) **صحيح مسلم**، حديث رقم ٤٤٣٢.

(٤٧) **مسند الإمام أحمد**، حديث رقم ٢١.

جبل وأبا موسى الأشعري ﷺ حدد لكل واحد منهما مخلافًا معينًا أمره أن يديره وأمرهما أن يتطاوعا.(٤٨)

ولقد دلت نصوص مختلفة على أن لكل عامل مهمة خاصة ولذلك فقد كان يبعث من يعلم الناس ويبعث من يخصه بالقضاء ويبعث من يعمل على الزكاة ويبعث من يصلي بالناس ويكلف من يقوم بقسمة الغنائم أو جمعها، ولذلك ففي كل حادثة من حوادث السيرة دلالات مختلفة على اختصاص كل فرد معين بأعمال وصلاحيات محددة ومنظبطة حددها لهم ﷺ.(٤٩)

وحينما بعث الرسول ﷺ أبا بكر الصديق على الناس بالحج في السنة التاسعة للهجرة، أوكل لعلي بن أبي طالب ﷺ مهمة أخرى وهي تبليغ آيات براءة (سورة التوبة)(٥٠) فكان لكل منهما مهمته الخاصة دون تداخل بينهما.

كما أنه ﷺ في غزوة أحد حدد للرماة موقعًا ومهمة وأمرهم بأن لا يتعدوا المهمة التي أوكلت لهم ولا يتجاوزوا موقعهم.(٥١)

---

(٤٨) باقادر: عبد الله بن أحمد، **الكفاءات الإدارية في السياسة الشرعية**، دار المجتمع، جدة، ١٤٠٦هـ، ص ١١٠.

(٤٩) العُمري، **الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين**، ص٤٠.

(٥٠) انظر: باقادر، **الكفاءات الإدارية**، ص ١١٣.

(٥١) انظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج ٣، ص ٥٤.

التقسيمات الإدارية:

من الصعب على الباحث تخيل تقسيمات إدارية محددة في العصر النبوي، إذ أن الأمر كان أبسط من ذلك، لكن من الثابت تخصيص كل عامل من عمال الرسول ﷺ بوظيفة محددة، فقد عرف بعض العاملين بأنه عامل الزكاة، كما عرف آخرون بأنهم قواد عسكريون وعرف آخرون بأنهم أمراء الصلاة وغيرهم بأنهم قضاة، وغيرهم بالمسؤولية عن بيت المال، أو جمع أموال محددة أو قسمتها، كما أن البعض عرف بالحراسة، بل وحتى بالخدمة الشخصية لرسول الله ﷺ مثل أنس بن مالك رضي الله عنه.

ولعل حديثًا واحدًا يكشف جزء من هذه التخصصات في حديث لرجل من أهل الكوفة قال له أبو الدرداء(أَوَلَيْسَ عِنْدَكُمْ ابْنُ أُمِّ عَبْدٍ صَاحِبُ النَّعْلَيْنِ وَالْوِسَادِ وَالْمِطْهَرَةِ وَفِيكُمْ الَّذِي أَجَارَهُ اللَّهُ مِنْ الشَّيْطَانِ يَعْنِي عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَلَيْسَ فِيكُمْ صَاحِبُ سِرِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ غَيْرُهُ).(٥٢) ولا شك أن الإدارة العسكرية وتقسيم المسئوليات في سرايا رسول الله ﷺ وغزواته خير مثال على تلك التقسيمات إضافة إلى مهام الصحابة المختلفة التي كان ﷺ يكلفهم بها فى المدينة وغيرها والمطلع على ما كتبه الكتانى فى التراتيب الإدارية يجد تنوع الأعمال والمهام واختلافها بين أصحاب رسول الله ﷺ.(٥٣)

---

(٥٢) انظر: الكتانى، **التراتيب الادراية**، ج ١، ص ٧٤.

(٥٣) انظر: **المصدر السابق**.

التعليم والتدريب:

حرص الرسول ﷺ على إعداد الرجال المختصين كل فيما يخصه بالإضافة إلى الإعداد العام لكل الأفراد بالتدريبات التي يمكن أن يفيد منها.

وقد كان ﷺ يعلم الأمراء الذين يبعثهم بنفسه ويحدد لهم أهدافهم بل والأسلوب الذي ينبغي أن يتبع في تنفيذ المهام والأهداف فقد ورد (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ).(٥٤) ومن هنا نلاحظ حرص رسول الله ﷺ على تعليم معاذ رضي الله عنه مهامه وترتيب أولياته بنفسه.

ومثل ذلك حينما وجه رسول الله ﷺ على بن أبي طالب رضي الله عنه للقضاء في اليمن علمه بنفسه ﷺ وكان مما روي: (عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ قَاضِيًا فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ تُرْسِلُنِي وَأَنَا

---

(٥٤) **صحيح البخاري**، حديث رقم ٤٠٠٠.

حَدِيثُ السِّنِّ وَلَا عِلْمَ لِي بِالْقَضَاءِ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ سَيَهْدِي قَلْبَكَ وَيُثَبِّتُ لِسَانَكَ فَإِذَا جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْكَ الْخَصْمَانِ فَلَا تَقْضِيَنَّ حَتَّى تَسْمَعَ مِنْ الْآخَرِ كَمَا سَمِعْتَ مِنْ الْأَوَّلِ فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يَتَبَيَّنَ لَكَ الْقَضَاءُ قَالَ فَمَا زِلْتُ قَاضِيًا أَوْ مَا شَكَكْتُ فِي قَضَاءٍ بَعْدُ).(٥٥)

الخبرة:

لقد اهتم الرسول ﷺ بوجود الخبرة وتنميتها لدى المسلمين في مختلف المجالات المدنية والعسكرية، فقد كان ﷺ يخرج السرايا من المدينة قبل الإذن بالقتال، وكان ﷺ يركز فيها على المهاجرين بالدرجة الأولى في تلك السرايا لوجود الوقت الكافي عندهم للتدريب وكسب الخبرة، ولانشغال الأنصار بالإنتاج الزراعي وتنمية المحاصيل.

وكان من سنته ﷺ الاستعانة بأصحاب الاختصاص من أهل الخبرة ففي هجرته ﷺ استعان بدليل ماهر في معرفة الطرق، وفي حمل الرايات في الغزوات كان يختار أصبر الرجال وأشدهم تحملًا، وفي مجال الكتابة يختار الخبراء من الرجال، بل حتى في ممثليه الذين كان يبعثهم برسائله إلى الملوك والأمراء المعاصرين له كان ﷺ يبعث أهل الخبرة والدراية في الأماكن والمجتمعات التي يوفدون إليها.

---

(٥٥) **سنن الترمذي**، حديث رقم ٣١١١.

وقد استفاد ﷺ من رجل جاء إلى النبي فقال إني رأيت موضعا للسوق أفلا تنظر إليه قال بلى فقام معه حتى جاء موضع السوق فلما رآه أعجبه وركض برجله وقال نعم سوقكم هذا فلا ينقص ولا يضربن عليكم خراج.(٥٦)

كما كان ﷺ حريصًا على انتشار الخبرة بين الناس فيأمر بعضهم بتعليم بعض ويدرب بعض الصحابة بعضهم الآخر.

وقد كان ﷺ يشهد بنفسه تمرين المسلمين على الرمي في بعض نواحي المدينة المنورة.(٥٧)

الأجور والمكافأة (المرتبات):

لقد وجدت حقوق مختلفة للعاملين في المناصب والوظائف الإدارية والعمالات الشرعية في عهد رسول الله ﷺ وهذه الحقوق منها ما هو أدبي ومنها ما هو معنوي وقد دلت الأخبار المختلفة على تخصيص حقوق مالية وأدبية للعاملين في الوظائف المختلفة في الدولة الإسلامية في عهد رسول الله ﷺ وقد وضع البخاري في صحيحه بابًا عنونه بـ (بَاب رِزْقِ الْحُكَّامِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا...) وأورد فيه أحاديث منها ما روي(أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ السَّعْدِيِّ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى عُمَرَ فِي خِلَافَتِهِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ أَلَمْ أُحَدَّثْ أَنَّكَ

---

(٥٦) الكتاني، **التراتيب الإدارية**، ج ٢، ص ١٦٣.

(٥٧) الصالحي الشامي، **سبل الهداية والرشاد**، ج ١، ص ٢٩١.

تَلِيَ مِنْ أَعْمَالِ النَّاسِ أَعْمَالًا فَإِذَا أُعْطِيتَ الْعُمَالَةَ كَرِهْتَهَا فَقُلْتُ بَلَى فَقَالَ عُمَرُ فَمَا تُرِيدُ إِلَى ذَلِكَ قُلْتُ إِنَّ لِي أَفْرَاسًا وَأَعْبُدًا وَأَنَا بِخَيْرٍ وَأُرِيدُ أَنْ تَكُونَ عُمَالَتِي صَدَقَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ قَالَ عُمَرُ لَا تَفْعَلْ فَإِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الَّذِي أَرَدْتَ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِينِي الْعَطَاءَ فَأَقُولُ أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي حَتَّى أَعْطَانِي مَرَّةً مَالًا فَقُلْتُ أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ وَتَصَدَّقْ بِهِ فَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ فَخُذْهُ وَإِلَّا فَلَا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ).[٥٨]

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ حينما عين عتاب بن أسيد على مكة جعل له راتبًا يومياً درهمًا، واعتبر هذا المبلغ مجزيًا في مقياس ذلك الزمان.[٥٩]

المساواة والعدالة:

العدالة مبدأ إسلامي هام تحكم أمور المسلم في كل أحواله العامة والخاصة وخصوصًا ما يتعلق بالآخرين إذا تولى عملًا للناس وقد قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾.(٩٠)[النحل].

﴿**فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ**

(٥٨) **صحيح البخاري**، حديث رقم ٦٦٣٠.

(٥٩) صبحي الصالح، **النظم الإسلامية**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م ص ٣٠٨.

أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (١٥) [الشورى].

ولاشك أن العدالة ليست خاصة في القضاء بل هي توجيه عام لكل مسلم وهي من صميم العمل الإداري حيث أن المسؤول الإداري ينبغي أن يكون عادلاً مع موظفيه وينبغي أن يكون عادلًا مع ذوي العلاقة بالعمل وأصحاب المصالح المتصلة بعملة بل حتى في إدارة عائلته وعمله الخاص فكيف إذا كان صاحب منصب وعمل متصل بعامة الناس أو خاصتهم، وحين زعم أحد الجهال أن الرسول ﷺ لم يعدل في قسمة أموال حنين غضب رسول الله ﷺ لعظم التهمة في نظره ولاتهامه بعدم الإنصاف وهو ﷺ أعدل الناس وأبرهم وأسوة لجميع العاملين على شؤون الناس ﷺ وحقوق العباد.

المشاورة:

لاشك أن الإدارة العليا تحتاج باستمرار إلى مشاورة الكوادر الأخرى المشاركة في المسؤولية قبل اتخاذ القرارات المصيرية، وقد ساد في الفكر الإداري الحديث أهمية المشاورة قبل اتخاذ قرار إداري محدد وجرت دراسات مختلفة حول أهمية المشاورة ونتائجها بالنسبة للقيادات الإدارية العليا.(٦٠)

وقد كان رسول الله ﷺ وهو قائد الدولة الإسلامية يكثر من مشاورة

(٦٠) الهواري، **الإدارة الأصول والأسس العلمية**، ص ١٧٦.

أصحابه ﷺ حيث نزلت عليه سورة الشورى لتؤكد هذا المبدأ في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾ (٣٨)[الشورى].

وفي قوله تعالى ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾(١٥٩) [العمران].

وقد ثبت كثرة مشاورة الرسول ﷺ للصحابة العاملين معه قبل اتخاذ القرارات الهامة، حتى عرف بعض الصحابة أنهم من أهل شورى رسول الله ﷺ.

وحوادث غزوة بدر مليئة بالشورى قبل اتخاذ قرار المكان وقبل اتخاذ قرار الحرب، وفي غزوة أحد استشار الرسول ﷺ أصحابه قبل تحديد مكان المعركة، وفي غزوة الأحزاب مشاورة الرسول ﷺ أصحابه في اتخاذ الموقف المناسب واستفاد من خبرة سلمان ﷺ، ومن الملاحظ في مواقف الشورى التي أجراها الرسول ﷺ أنها تهدف لأمرين الأول الوصول إلى القرار الصحيح وهذا يتطلب السماع لأهل الخبرة والدراية، والأمر الثاني هو تطييب خاطر المشاركين في الأحداث وسماع رأيهم وإحساسهم أنهم جزء من القرار وأصحابه وليسوا مهمشين ولعل أبرز مثال لإشعار الآخرين بالمشاركة سماع الرسول ﷺ لرأي الأنصار في غزوة بدر وإصراره على السماع منهم وممن يمثلهم.

ومن الثابت أن الرسول ﷺ كان يستشير بعض الصحابة قبل تعيين أحد معين على عمل للرسول ﷺ فقد روى الأمام أحمد في مسنده(عَنْ عَلِيٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ كُنْتُ مُؤَمِّرًا أَحَدًا دُونَ مَشُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ لَأَمَّرْتُ ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ).(٦١)

المعاملة الخاصة (والعلاقات الإنسانية):

من أبرز المبادئ الإدارية الحديثة بروز العلاقات الإنسانية بين العاملين في القطاع الواحد، وخصوصًا بين المديرين والعاملين معهم، وقد تطرقت العديد من الدراسات الحديثة لهذا الموضوع بالتفصيل.

ومن المعروف أن رسول الله ﷺ كانت تربطه علائق خاصة وقوية مع جميع أصحابه ﷺ وخصوصًا مع من تولوا أعمالًا لرسول الله ﷺ في مختلف أنحاء الدولة الإسلامية، ولعل من المواضع المشهورة في نزول الدمع من رسول الله ﷺ حينما لقي أسامة بن زيد بعد مقتل والده زيد بن حارثة في غزوة مؤته: (جَاءَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ بَعْدَ قَتْلِ أَبِيهِ، فَقَامَ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ الْغَدِ جَاءَ فَقَامَ مَقَامَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: أَلْقَى مِنْك الْيَوْمَ مَا لَقِيت مِنْك أَمْسِ).

كما اشتهر عن رسول الله ﷺ تتبع أحوال المتزوجين والعزاب من أصحابه

---

(٦١) **مسند الإمام أحمد**، حديث رقم ٥٣٤.

وأمرائه بل نقل عنه ﷺ أنه كتب تهنئة إلى أحد أمرائه حينما رزق بمولود.(٦٢)

وكثيرًا ما يحتاج الموظفون والعاملون مع المسؤول إلى مواقف خاصة للمساندة المعنوية، حينما يتعرضون للتهم أو الاستضعاف ويتطلب من القائد أو المدير دعمًا معنويًا خاصًا يسندهم ويعيد الثقة في أنفسهم ويؤهلهم للقيام بمهامهم المناطة بهم، وقد كان ﷺ حريصًا باستمرار على دعم أمرائه وقواده واحترام الآخرين لهم ومن شواهد ذلك ما ورد(عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ أَمَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسَامَةَ عَلَى قَوْمٍ فَطَعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَالَ إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ وَايْمُ اللَّهِ لَقَدْ كَانَ خَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ).(٦٣)

كما كان بتفقدهم ويتابع أحوالهم فيستقبلهم بنفسه ويودعهم عند توجههم لأعمالهم المناطة ويدعوا لهم دعوة خاصة بالتوفيق وخير الأمور(عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا وَدَّعَ رَجُلًا أَخَذَ بِيَدِهِ فَلَا يَدَعُهَا حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ يَدَعُ يَدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَقُولُ اسْتَوْدِعْ اللَّهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَآخِرَ عَمَلِكَ).(٦٤)

---

(٦٢) انظر: محمد حميد الله، **الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة**، ص ٢١١.

(٦٣) **صحيح البخاري**، حديث رقم ٢٩١٩.

(٦٤) **رواه الترمذي**، حديث رقم ٣٣٦٤.

كما كان يتفقد أحوالهم العائلية فيحث بعضهم على الزواج ويساعدهم عليه ويحضر مناسباتهم المختلفة في الأعياد والأفراح ويعود مرضاهم ويعزيهم في موتاهم ويهنئهم في مواليدهم بل ويلعب مع أطفالهم ﷺ وهو القائد الأعلى ﷺ لكل الأمة العاملين معه والعامة منهم.

ولاشك أن هذا التعامل النبوي الرائع كان له دور رائع في تقوية الروح المعنوية لهؤلاء الموظفين والعاملين في الإدارة النبوية، وفي شعورهم بأن قائدهم يحس بهم ويعطف عليهم ويتابع أمورهم الإنسانية المختلفة.

الحوافز المعنوية:

في الوقت الذي حث الإسلام على المساواة فإنه أشاد بأصحاب العلم والخبرة، ولذلك جاءت آيات القرآن يتم بعضها بعضًا ويكمل بعضها بعضًا غير متناقضة تدعو للمساواة في الوقت الذي ترفع فيه من شأن العلماء والعاملين وتشيد بهم يقول الله تعالى: ﴿**أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ (٩)[الزمر].

كما أشاد سبحانه وتعالى بالعلماء في قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾ (٢٨)[فاطر].

وفي قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ**﴾ (٨) [المؤمنون].

وقد قال ﷺ (فيما روى عَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْخَازِنُ الْمُسْلِمُ الْأَمِينُ الَّذِي يُنْفِذُ وَرُبَّمَا قَالَ يُعْطِي مَا أُمِرَ بِهِ كَامِلًا مُوَفَّرًا طَيِّبًا بِهِ نَفْسُهُ فَيَدْفَعُهُ إِلَى الَّذِي أُمِرَ لَهُ بِهِ أَحَدُ الْمُتَصَدِّقَيْنِ).(٦٥)

وقد كان الرسول ﷺ يشيد ببعض الصحابة بأسمائهم ويمتدح أعمالًا محددة منهم. فقد أشاد بعلي بن أبي طالب يوم فتح خيبر،(٦٦) كما أشاد بسعد بن أبي وقاص وبأبي دجانة في غزوة أحد،(٦٧) كما أشاد بعمر بن الخطاب وبأبي بكر الصديق وبغيرهم فى مواضع مختلفة،(٦٨) بل إن من يرجع لألقاب الصحابة وتسمياتهم الخاصة يجد أنها في مواضع ذات علاقة بتصرف معين أثنى فيه رسول الله ﷺ الله عليه وسلم على أصحابه، فما أسماء الصديق والفاروق وأمين هذه الأمة، وغيرها من الألقاب إلا مواضع إشادة معنوية، أطلقها رسول الله ﷺ لهؤلاء النفر من أصحابه الذين تميزوا على غيرهم.

وقد أشاد الرسول ﷺ ببعض صغار السن وأمر بتقديمهم في الصلاة بسبب حفظهم لكتاب الله سبحانه وتعالىٰ، ومن هؤلاء عمرو بن سلمة رضي الله عنه الذي قَالَ (كُنَّا بِحَاضِرٍ يَمُرُّ بِنَا النَّاسُ إِذَا أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانُوا

---

(٦٥) صحيح البخاري، حديث رقم ١٣٤٨.
(٦٦) ابن أبى شيبة، **المغازي**، ص٣٠٢.
(٦٧) ابن أبى شيبة، **المغازي**، ص٢٢٠.
(٦٨) سنن الترمذي، ص ٣٧٣٣.

إِذَا رَجَعُوا مَرُّوا بِنَا فَأَخْبَرُونَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَذَا وَكَذَا وَكُنْتُ غُلَامًا حَافِظًا فَحَفِظْتُ مِنْ ذَلِكَ قُرْآنًا كَثِيرًا فَانْطَلَقَ أَبِي وَافِدًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ فَعَلَّمَهُمْ الصَّلَاةَ فَقَالَ يَؤُمُّكُمْ أَقْرَؤُكُمْ وَكُنْتُ أَقْرَأَهُمْ لِمَا كُنْتُ أَحْفَظُ فَقَدَّمُونِي فَكُنْتُ أَؤُمُّهُمْ وَعَلَيَّ بُرْدَةٌ لِي صَغِيرَةٌ صَفْرَاءُ فَكُنْتُ إِذَا سَجَدْتُ تَكَشَّفَتْ عَنِّي فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ النِّسَاءِ وَارُوا عَنَّا عَوْرَةَ قَارِئِكُمْ فَاشْتَرَوْا لِي قَمِيصًا عُمَانِيًّا فَمَا فَرِحْتُ بِشَيْءٍ بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَرَحِي بِهِ فَكُنْتُ أَؤُمُّهُمْ وَأَنَا ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ أَوْ ثَمَانِ سِنِينَ).(٦٩)

كما أشاد رسول الله ﷺ بعدد من الصحابة في حديث واحد مبينًا فضلهم ومكانتهم ووجوب الاستفادة من خبرتهم: (عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنِّي لَا أَدْرِي مَا قَدْرُ بَقَائِي فِيكُمْ فَاقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي وَأَشَارَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ وَمَا حَدَّثَكُمْ ابْنُ مَسْعُودٍ فَصَدِّقُوهُ).(٧٠)

كما كان ﷺ يقرب بعض الصحابة ويحرص على مرافقتهم له باستمرار وهذا مكان فخر وعزة لهم ﷺ ومكانة معنوية خاصة نالوها من نبي الله

---

(٦٩) رواه **أبو داود في سننه**، حديث رقم ٤٩٥.

(٧٠) **سنن الترمذي**، حديث رقم ٣٧٣٥.

وقائد الأمة ﷺ .(٧١)

وقد أشاد ﷺ بعدد من الصحابة في حديث واحد (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَأَقْرَؤُهُمْ أُبَيٌّ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ).(٧٢)

الضبط والتوثيق (المكاتبات):

لقد كان رسول الله ﷺ أميًا لا يقرأ ولا يكتب، وهذا من كمال صدقه وإعجازه ﷺ ومع هذا فقد جاءت أولى الآيات القرآنية النازلة عليه تتحدث عن العلم والقلم ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ (١) [سورة العلق] وحينما استقر الرسول ﷺ في المدينة كان له كتابًا مشهورين لضبط وتوثيق رسائله وأوامره المختلفة حتى أننا نجد المحدثين يشيرون إلى ذلك فنرى مثلًا أن البخاري في صحيحه يضع في كتاب الأحكام (بَاب كِتَابِ الْحَاكِمِ إِلَى عُمَّالِهِ وَالْقَاضِي إِلَى أُمَنَائِهِ).(٧٣)

---

(٧١) قادري : عبدالله أحمد ، **الكفاءة الإدارية في السياسة الشرعية**، دار المجتمع، جدة، ١٤٠٦هـ، ص١٥٥.

(٧٢) **سنن الترمذي**، الحديث رقم ٣٧٣٣.

(٧٣) **صحيح البخاري**، (كتاب الأحكام).

ويستدل على ذلك بأحاديث مختلفة عن كتابات رسول الله ﷺ إلى العمال والأمراء.

ومن المعروف أن رسول الله ﷺ كتب صحيفة بين سكان المدينة تعد وثيقة ومعاهدة وافق عليها بقية أهل المدينة من اليهود والعرب مع المسلمين وتعد كتابة هذه الوثيقة أو صحيفة المدينة كما عرفها المؤرخون وأصحاب السيرة من أهم الدلائل على حرص الرسول ﷺ.(٧٤)

كما أن من المشهور والمتواتر كتابة الرسول ﷺ لما اتفق عليه مع قريش في صلح الحديبية، وكيف كانت الكتابة ونصها ومن الذي كتبها بين يدي الرسول ﷺ وقريش حيث ورد النص على اسم الكاتب فى هذه الوثيقة.(٧٥)

كما جاءت الكتابة فى أطول آية في القرآن الكريم وهي آية الدين ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا**﴾ (٢٨١)[البقرة].

---

(٧٤) انظر: العمري: أكرم ضياء، **المجتمع المدني في عهد النبوة خصائصه وتنظيماته الأولى**، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٣هـ، ص ١٠٧.

(٧٥) الذهبي: شمس الدين محمد بن عثمان، (ت:٧٤٨هـ)، **المغازي**، **(من تاريخ الإسلام)** تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط ١، دار الفكر بيروت ١٤٠٧هـ، ص٣٧٠.

وتؤكد هذه الآية على الأمر بالكتابة والتوثيق وإن كان هذا في مجال الحقوق فلا شك أنه يمكن الاستدلال بها في مجال الإدارة وتوثيق الأوامر والتصرفات المختلفة.

وحينما أراد الرسول ﷺ أن يبعث رسلًا إلى ملوك وأمراء العالمين المعاصرين له والمتصلين ببلاد العرب حرص ﷺ على الكتابة لهم، ولذلك اشتهر عند أصحاب السيرة كتب الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء وحفظ لنا أصحاب الحديث نصوصها، وحلل الفقهاء محتوياتها وناقشوا أمورها الشرعية المختلفة، ولا تزال بعض هذه الكتب والرسائل محفوظة في بعض المتاحف العالمية.(٧٦)

وقد كان الرسول ﷺ حريصًا على توثيق تلك الكتب والرسائل التي يبعثها للأمراء والقبائل والملوك وغيرهم من عامة الناس، ولذلك فقد اتخذ ﷺ خاتمًا يختم به ﷺ كتبه ورسائله وهو من ثلاثة أسطر: ـ

السطر الأول لفظ الجلالة (الله)،

السطر الأوسط (رسول)،

السطر الأخير (محمد).٧٧

---

(٧٦) انظر: إلى عدد كبير من هذه الرسائل عند محمد حميد الله، **الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، من ص ٤٣ ـ ٣٣٧.

(٧٧) محمد حميد الله، **الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، ص ١٥٧.

(عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَتَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا أَوْ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُمْ لَا يَقْرَءُونَ كِتَابًا إِلَّا مَخْتُومًا فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ نَقْشُهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِهِ فِي يَدِهِ).(٧٨)

كما كان ﷺ يكتب إلى أمرائه على البلدان في قضايا إدارية وأمور شخصية وقضايا مختلفة،(٧٩) فقد دارت بينه ﷺ وبين عتاب بن أسيد العديد من المكاتبات التي تتعلق بإدارة مكة وشؤونها.

ومن خلال استعراض أسلوب الرسول ﷺ في كتابة الرسائل الموجهة يستطيع الإنسان أن يدرك عدة أمور أهما:

وضوح المصدر وجهة التوجيه وموضوع الرسالة وهدفها باختصار وإيجاز ثم أسم الكاتب لأنه ﷺ لا يكتب والنص على اسم الكاتب يدل على مزيد من الحرص على التوثيق.

ونلاحظ هذه القضايا الرئيسة وهي الأسلوب المتبع حاليًا في كثير من المراسلات حيث يكتب من فلان إلى فلان ثم يشار إلى الموضوع باختصار قبل الدخول في تفاصيل الرسالة كما أن الرسول ﷺ كانت تأتيه بعض الكتابات التي يحرص على سريتها وان لا تقع فى يد الآخرين ومن هنا

---

(٧٨) **صحيح البخاري**، حديث رقم ٦٣.

(٧٩) راجع عددًا من هذه الكتب في محمد حميد الله، **الوثائق السياسية للعصر النبوي والخلافة الراشدة.**

حرص على أن يتعلم زيد بن ثابت كتابة الحروف العبرية ليكون مؤتمنًا على تلك المكاتبات.[٨٠]

البريد والاتصالات الإدارية:

لكل عصر وسائله المختلفة في الاتصالات سواء منها الإدارية أو غيرها، وقد كان الرسول ﷺ حريصًا على وصول الأخبار والتعليمات إلى أمرائه وعماله وإلى كافة الناس من الأمة فيما يخصهم، ولذلك فقد كان يكتب الكتب ويختار المؤهلين من الرجال ذوي الخبرة بالطرق أو المناطق المتوجهين إليها لكي يؤدوها كما ينبغي، كما كان التبليغ الشفهي يتطلب اختيار أناس محددين للقيام به، ولم يكن البريد منظمًا أو مستمرًا في أيامه لكنه ﷺ كان حريصًا على أن يكون سبب الاتصال أو طريقتها محققة للهدف المرجو منه وما كتاباته ﷺ إلا من وسائل الاتصال الخاصة، وقد كان ﷺ حريصًا حتى على أسماء حاملي رسائله والتي تدعو إلى التفاؤل والأمل الطيب حيث ورد انه كتب إلى أحد أمرائه (إذا أبردتم لي بريدًا فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم)[٨١] كما كان ﷺ يدلهم على أيسر الطرق للوصول إلى أهدافهم لتوصيل رسائله وتوجيهاته ﷺ.

---

(٨٠) الكتاني، **التراتيب الإدارية**، ج ١، ص ١٢٠.

(٨١) انظر: محمد حميد الله، **الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة**، ص ٢١١.

ترتيب الأهداف والأولويات:

ظهرت في السنوات الأخيرة مجموعة من الأفكار والنظريات الإدارية التي تعتبر عند الكثيرين نظريات حديثة ومطورة ومنها الإدارة بالأهداف التي الفت حولها العديد من الكتب والأبحاث.[٨٢]

وقد ركزت معظم الآراء عن الإدارة بالأهداف على (وضوح النتائج المتوقعة وتحديدها)[٨٣]

وقد ركز الإسلام بتشريعاته المختلفة على النية، ويمكن أن تعتبر النية من منظور واسع (الهدف من العمل) هي المحك في كل الأعمال، كما أن المقاصد العليا لأي عمل مرتبطة بالنية والثواب الأخروي مربوط بكل تصرفات الإنسان الدنيوية والأخروية التي ينبغي أن تكون سامية وشرعية.

كما أن الرسول ﷺ حينما كان يوجه موظفًا لعمل فإنه يحدد أولويات لهذا العمل ينبغي أن يبدأ بها أولًا فأول فحينما وجه رسول الله ﷺ معاذ بن جبل أميرًا على اليمن حدد له أولويات وأهداف ينبغي مراعاتها والتدرج فيها حيث ورد(عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(٨٢) انظر: الهواري، د. سيد، **الإدارة بالأهداف والنتائج**، ط٤، مكتبة عين شمس، القاهرة، ١٩٩٩م، وقد حدد الكاتب عدد من المراجع الهامة في الاتجاهات المختلفة للإدارة بالأهداف، ص ٢١٩ – ٢٢٢.

(٨٣) الهواري، **الإدارة بالأهداف**، ص ٢٣.

بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ).(٨٤)

والمتتبع لمراحل الصراع بين رسول الله ﷺ وأعداء الإسلام يجد أن مسيرة الغزوات والمعارك كانت مرتبة حسب الأهمية حيث وجه قوته العسكرية ابتداء للعدو الأقرب والأخطر وهم قريش ثم بعد ذلك نقل الساحة لقتال يهود المدينة حينما غدروا وكان من المهم القضاء على تهديدهم، ولم يتحرش ﷺ بالفرس والروم في تلك المراحل لوجود من كان أولى بالصراع وتوجيه القوة.(٨٥)

ثم نقل الصراع إلى خيبر حينما بدءوا يعدون لغزو المدينة كما أن أوامره بالصدقة والتربية والمسؤولية كانت تتركز على الأقرب والأولى ثم الأولى وهكذا.

---

(٨٤) **صحيح البخاري**، حديث رقم ١٣٠٨.

(٨٥) وتر: محمد ظاهر، **فن الحرب في الإسلام في عهد الرسول ﷺ (الإدارة العسكرية في حروب الرسول ﷺ)**، ص ١١٧.

البحث عن المعلومات الصحيحة قبل القرار:

إن المعلومة الصحيحة تعد أساسية لاتخاذ أي قرار وعمل أي تصرف إداري والمعلومات المختلفة وخصوصًا ما يتعلق بميدان العمل وظروفه من أهم أسباب التوفيق في العمل ولذلك كان ﷺ يحيط عماله بالظروف التي ستلاقيهم في المناطق التي يتوجهون إليها، فحينما طلب من الصحابة الهجرة إلى الحبشة اختار لهم المكان المناسب وأعطاهم تصورًا صحيحًا عن النظام الموجود هناك،[٨٦] كما أنه حينما أراد بعث معاذ بن جبل ﷺ إلى اليمن: قَالَ إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ.[٨٧]

وقد عرف عن رسول الله ﷺ حرصه على تتبع أخبار أعدائه من قريش وغيرهم قبل أي تحرك عسكري، بل أنه ﷺ قد جعل له عيونًا تأتيه بالأخبار والتحركات المختلفة لخصوم الإسلام في حياته ﷺ.

ففي غزوة بدر كان ﷺ يبحث عن مصادر مختلفة للمعلومات عن جيش قريش وعددهم وعدتهم.والمتتبع لغزوة الأحزاب يدرك، جدية الرسول في الحصول على المعلومات فهو قد حرص على معرفة أخبار قريش عند تحركها لغزو المدينة، كما حرص على معرفة حال بني قريظة عند نقضهم للعهد مع رسول الله ﷺ كما حرص على بث عيونه بين جيش المعتدين من

---

(٨٦) أبو يوسف، **الخراج**، ص ٨٣.

(٨٧) **صحيح البخاري**، حديث رقم ١٣٦٥.

الأحزاب، وكان للمعلومات التي جمعها رسول الله ﷺ أثرها في اتخاذ القرار المناسب المبني على المعلومة الصحيحة.[٨٨]

كما عرف عنه ﷺ الحرص على المعلومات الصحيحة عن الطرق التي يسلكها والأشخاص الذين يقابلهم، وغير ذلك مما يحتاج معه إلى قرار وتحرك يتأثر بالمعلومة.

المتابعة والتنسيق:

لعل من أكثر الأمثلة وضوحًا في المتابعة والتنسيق في حياة الرسول ﷺ متابعته لأحوال أمرائه الذين بعثهم على المناطق المختلفة من بلاد العرب بعد إسلامها، ومن أبرز ذلك مكاتباته ﷺ لأمرائه على اليمن للتعاون فيما بينهم والتنسيق في مقاومة مدعي النبوة الأسود العنسي الكذاب، مما كان له أكبر الأثر في تحرك أولئك الأمراء وتنسيقهم مع بعضهم البعض ومع من ثبت على الإسلام من أهل اليمن وتمكنهم من القضاء على المتنبئ وأتباعه من المرتدين.[٨٩]

كما كان الرسول ﷺ في بعض غزواته يبعث سرايا معينة لتنفيذ أهداف أخرى ذات علاقة بالغزوة الرئيسة أو متابعة لأعمال أخرى سبق القيام بها، ففي أثناء غزوة تبوك بعث ﷺ عدة سرايا لمناطق مجاورة كانت لها أهداف

(٨٨) انظر: ابن أبي شيبة، **المغازي**، ص ١٩١.
(٨٩) انظر: العُمري، **الولاية على البلدان**، ص٤٢.

محددة هي في الغالب متابعة لأعمال وتحركات سابقة،[٩٠] بل لعل غزوة تبوك في حد ذاتها هي متابعة لغزوة مؤته التي سبقتها بعام كامل، كما أن إعداد الرسول ﷺ لجيش أسامة بن زيد قبل وفاته وتحديد وجهته إلى الروم هو من أعمال المتابعة لما سبقه من تحركات مؤته وغزوة تبوك.

كما كان ﷺ يطلب من عماله الذين بعثهم لتحصيل الزكاة أو تعليم الناس أو أي عمل من الأعمال أن ينسقوا مع أناس أو عمال آخرين ذوي ارتباط بمناطقهم ممن أسلم من زعماء القبائل أو من ظهر تعاطفهم مع المسلمين منهم كما أشرف ﷺ بنفسه على تنسيق العمل فى حفر الخندق ومتابعة سيره بنفسه ﷺ.[٩١]

إدارة النفقات والمصروفات:

لاشك أن إدارة المجتمع المسلم وقواه المدنية والعسكرية تطلبت نفقات مختلفة، وكانت لهذه المصروفات مواردها الشرعية كما كان لصرفها طرقها الشرعية، وقد اعتنت كتب الأموال والفقه بهذه القضية وكان عمادها في قواعدها الفقهية على حوادث من سنة رسول الله ﷺ نابعة من الأحداث التي وقعت في أيامه ﷺ وقد اعتمدت الدولة الإسلامية في مواردها على

---

(٩٠) انظر: ابن أبى شيبة، **المغازى**، ص١٦٩.

(٩١) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج ٣، ص ٢١٦. الصالحي الشامي، **سبل الهدى والرشاد**، ج٤، ص ٥١٥.

الخراج الذي كثر بعد إسلام اليمن والبحرين وخيبر ووادي القرى، كما أنها اعتمدت قبل ذلك على أموال الغنائم التي يحصل عليها المسلمون من أعدائهم في أعقاب المعارك إضافة إلى بعض الواردات الأخرى، ومع كل هذه الواردات وغيرها، فإن لكل باب منها مصروفات معينة ومحددة وجزء منها يخدم الدولة الإسلامية عمومًا بإدارتها المختلفة، كما أن جزء أخر حسب تقسيمها الشرعي يعود على العاملين عليها فالمجاهدون ينالون نصيبهم من الغنائم وبالتالي يتولون تمويل أنفسهم ذاتيًا والعاملون على الصدقات لهم نصيب شرعي منها وهذا في حد ذاته يعود على العمل واستمرار تسييره دون توقف وبما يشبه التمويل الذاتي، كما كان جزءاً كبيراً من العمل يقوم على الاحتساب والتطوع لأن أعمالهم في كثير من الأحيان مؤقتة وغير مستديمة ومن الصعب مقارنة ذلك بالتمويل في الإدارة الحديثة لكنه كان سائرًا وناجحًا في تقديم ما تحتاجه الإدارة النبوية من نفقات ومصروفات، وقد كانت النفقات الإدارية محدودة ويأتي على رأسها مخصصات الموظفين والعمال التى أشير إليها سابقًا.

إدارة وتنشيط الإنتاج:

إن التغيرات التي حدثت في الجانب الاقتصادي نتيجة التشريعات النبوية كانت قوية ومؤثرة، حيث توالت التشريعات الإسلامية الحاثة على النشاطات الاقتصادية المختلفة والمنظمة لها بما ينسجم مع حاجات الناس

والعدل معهم وإيفائهم حقوقهم سواء منها ما يتعلق بالجوانب النظرية أو بالحياة التطبيقية العملية.[٩٢] وقد عمل الرسول صلى الله عليه وسلم على فتح الأسواق وتنظيمها في المدينة وأتاحتها للتجار المحليين والقادمين من خارج المدينة،[٩٣] وجعل للسابقين من التجار حقوقًا في السوق، ومنع الظلم على أطراف البيع والشراء، مما ساعد في نمو التجارة في أسواق المدينة ولا شك أن هذا من أهم عوامل التنشيط له.

وقد حث الرسول ﷺ على استصلاح الأراضي فقال: (من أحيا أرضًا ميتة فله فيها أجر وما أكلت العانية منها فله منها صدقة).[٩٤]

وقد ساهمت الإقطاعات النبوية المختلفة في المدينة في تزايد الرقعة الزراعية فيها وزيادة إنتاجيتها.

وقد شجع الرسول ﷺ على زراعة النخيل فقال: (ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة).[٩٥]

وقد شارك ﷺ بنفسه في غرس النخيل في بعض نواحي المدينة.[٩٦]

---

(٩٢) انظر: د. عبدالله الخراشي، **النشاط الاقتصادي في منطقة المدينة في العهد النبوي**، رسالة دكتوراة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود بالرياض.

(٩٣) د. عبد الله الخراشي، **النشاط الاقتصادي في المدينة في العصر النبوي**، ص ٢٤٢.

(٩٤) **سنن الدارمي**، ج ٢، ص ٢٦٧.

(٩٥) **صحيح البخاري**، ج٣، ص ٦٦.

(٩٦) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج١، ص ٥١١.

كما حث النبي ﷺ على الصناعة والإنتاج فيها وغير من نظرة العرب لبعض المهن المحتقرة وأدرك حاجة المسلمين عمومًا وسكان المدينة خصوصًا لبعض تلك الصناعات فكان يشجع الناس عليها بتذكير الناس ببعض الصناعات وأنها من حرف الأنبياء.

كما حث الرسول ﷺ على تصنيع السلاح وانتاجه، فقال ﷺ (إن الله عز وجل يدخل الثلاثة بالسهم الواحد الجنة، صانعه يحتسب في صنعه الخير والممد به والرامي به).[(٩٧)]

وكان أطفال المدينة يشاركون في صناعة النبال على قدر طاقاتهم، وكان الصحابة في المدينة يتنافسون في صناعة النبال والتصدق بها،[(٩٨)] وهي ذخيرة ذلك الزمان.

تجميع الطاقات وتجنيدها:

لقد سعى الرسول ﷺ لبناء المجتمع المسلم الخاص وتجميع المسلمين فيها والاستفادة من طاقاتهم وتجنيدها حيث وجه بعد بيعة العقبة جميع المسلمين بالهجرة إلى المدينة والتجمع فيها، فسبقه بعض الصحابة إلى المدينة أو لحقوه حيث استمر التدفق البشري على المدينة، مما استدعى تخطيطًا لهذا الأمر، ومتابعة لأحوال المهاجرين الخاصة.

---

(٩٧) **سنن الدارمي**، بسننه، ج ٢، ص ٢٠٥.

(٩٨) الطبري، **تاريخه**، ج ٣، ص ١٨٧.

وفي الوقت الذي كان ﷺ يحث على الهجرة في الغالب فإنه حينما تواجه المدينة ضغطًا من كثرة المهاجرين يوجه ببقائهم في مجتمعاتهم وحفظ إسلامهم دون الهجرة، وانتظار أوامر الرسول ﷺ .

إدارة الأزمات:

من المصطلحات الإدارية الحديثة التي خرجت فيها دراسات عديدة وقدمت لها دورات ونفذت فيها قرارات إدارية مختلفة.

وقد تعرض رسول الله ﷺ للعديد من الأزمات والظروف المختلفة والطارئة التي استدعت منه تصرفات خاصة وجهود مميزة عاجلة لمواجهة تلك الأحداث ولعل من أهم الأزمات الغزوات المفاجئة للمشركين لبلد الرسول ﷺ مثلما حدث فى غزوة أحد ومن أصعب الأزمات التي واجهها الرسول ﷺ غزوة الأحزاب التي وصفها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز... ﴿**إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا**﴾(١٠)[الأحزاب].

وقد تصرف الرسول ﷺ بحكمة وحشد كل الطاقات المادية والبشرية، واستخدم الخبرات والطاقات المتوفرة في تنفيذ خطة عاجلة لمواجهة تلك الأزمة الطارئة ونجح ﷺ بعون الله تعالى في اتخاذ كافة الأسباب لتجاوز الأزمة، بل ومعاقبة الخائنين من يهود المدينة وتطهير الصف وبلد

الرسولﷺ من بني قريظة ليكون التغلب على الأزمة أولًا ومن ثم التغلب على مسبباتها بمعالجة الخطر الداخلي في المدينة والقضاء على مصدر الخطر.

كما أن الرسول ﷺ تعرض في أكثر من مرة لأزمات مالية وخصوصًا عند الغزوات كما حدث في غزوة تبوك، فقام ﷺ باستنفار الناس للصدقة، وشجع عليها حتى تمكن ﷺ من التغلب على جزء كبير من تلك المشكلة كما واجه الرسول ﷺ أخطارًا أمنية مختلفة فى المدينة عالجها وتمكن من التغلب عليها ومعاقبة الجناة، وواجه الرسول ﷺ فى أواخر حياته أزمة المرتدين أتباع الأسود العنسى فى اليمن فأدار ولاته من المدينة حتى تغلبوا على هذه الأزمة كما أدار الإعداد للقضاء على مسيلمة الكذاب الذي ظهر فى اليمامة.(٩٩)

السرية:

منذ ظهور الإسلام وبداية الدعوة أتليه وتكوين المجتمع المسلم بأفراده القلائل وصبغة العمل السري والذي يعين على النجاح ويمنع كيد الأعداء ولا يعرقل الأهداف تسير مراحل الدعوة الأولى، بل عرفت السنوات الأولى الثلاث بعد البعثة النبوية بأنها مرحلة الدعوة السرية، حتى أن بعض الصحابة الذين دخلوا في الإسلام لم يكن يعرف بعضهم بعضًا، وحينما بداء الرسول ﷺ يلتقي ببعض المسلمين في مكة ليقوم بتعليمهم الدين

(٩٩) العُمري، **الولاية على البلدان**، ص ٤٢.

الجديد وكتاب الله سبحانه وتعالى كان ﷺ يلتقي بهم سرًا في دار الأرقم بن أبي الأرقم[١٠٠] ليضمن النجاح للدعوة وعدم مصادمة قريش.

ومن هنا فإن العمل قد يتطلب السرية في بعض الأحيان وقد عرف عن حذيفة بن اليمان بأنه صاحب سر رسول الله ﷺ.[١٠١]

وقد درب رسول الله ﷺ أصحابه والعاملين معه على كتم السر وعدم إفشائه، حتى أن أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ وكان غلامًا صغير يبعثه الرسول ﷺ في عمل أو حاجة فيكتمها على أقرب الصحابة لرسول الله ﷺ (عَنْ أَنَسٍ قَالَ أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ قَالَ فَسَلَّمَ عَلَيْنَا فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ مَا حَبَسَكَ قُلْتُ بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَةٍ قَالَتْ مَا حَاجَتُهُ قُلْتُ إِنَّهَا سِرٌّ قَالَتْ لَا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدًا).[١٠٢]

وقد حرص رسول الله ﷺ على إبقاء بعض تحركاته العسكرية سرية وبعيدة عن عيون أعدائه، بل إنه قبل غزوة فتح مكة أمر الصحابة بالتجهيز وأخفى وجهته عن المقربين إليه ﷺ، وحين بعث ﷺ سعد بن معاذ لاستطلاع أخبار بني قريظة أثناء غزوة الأحزاب طلب من المسؤولين عن

---

(١٠٠) انظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج ١، ص ٣٢٣.

(١٠١) انظر: ترجمة حذيفة بن اليمان عند الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٢، ص ٣٦٢.

(١٠٢) **صحيح مسلم**، حديث رقم ٤٥٣٣.

تقصي الخبر أن يكتموه عن بقية جيش المسلمين خشية من التأثير السلبي عليهم.

الرقابة والمحاسبة:

لقد حرص رسول الله ﷺ على القيام بواجبه وأداء الأمانات المختلفة وتطبيقاتها فكان ﷺ مثالًا يحتذى ﷺ ولاشك أن الإسلام قد ركز بالدرجة الأولى على الرقابة الذاتية في مختلف شؤون الحياة الدينية والدنيوية، والمسؤولية الإدارية تجمع واجب ديني ودنيوي في وقت واحد لا فرق بينهما، ويمكن القول إن الرقابة الذاتية هي الأساس في الرقابة الإدارية وقد أكد القرآن الكريم والسنة النبوية عليها، حيث أن تقوى الله هي المرتكز الأساس للأعمال الرقابية في الإسلام ومع ذلك فهناك شواهد مختلفة في السيرة النبوية تدل على متابعة الرسول ﷺ وتدقيقه مع بعض من ولاهم مسؤوليات وظيفية محددة.

كما كان ﷺ يسمع الملاحظات المختلفة التي ترده عن عماله وأمرائه ممن عمل معهم أو احتك بهم، وكان يوجه وينتقد ما يصدر من تصرفات مخالفة للهدف من المهمة التي كلف بها، كما فعل مع خالد بن الوليد رضي الله عنه.

وقد غضب الرسول ﷺ من أحد عماله حينما بعثه لجمع الزكاة فلما بداء الرسول ﷺ يحاسبه قال هذا لكم وهذا أهدي له، فغضب ﷺ وقال: (فهلا جلست في بيت أبيك أو أمك فتأتيك هديتك إن كنت صادقًا).

الخاتمة

تبين من خلال الشواهد البسيطة المذكورة في البحث أن رسول الله ﷺ وضع الأسس للأمة الإسلامية في الإدارة الناجحة التي تحقق الأهداف المطلوبة بدقة وتسخر الإمكانات المختلفة للقيام بمهام الإدارة الاجتماعية وإدارة الدولة والإدارة العسكرية والإدارة المالية ويقاس عليها المؤسسات المختلفة وبالتالي فإنني أدعو الباحثين في مجال الإدارة خصوصًا لدراسة السيرة النبوية واستخراج الشواهد المختلفة في الإدارة الناجحة بأبوابها المختلفة، وعدم الاكتفاء بأقوال الغربيين أو الشرقيين في الإدارة فوالله لو علم هؤلاء ما في سيرة المصطفى ﷺ من شواهد لاستصغروا نظرياتهم وأقوالهم في الإدارة.

أما نحن المسلمون فللأسف الشديد لم نقدر بعد حجم الإرث النبوي في مختلف العلوم وخصوصًا ما يمس حياتنا فتجاهلنا أو جُهلنا وبدأنا نلتفت يمنة ويسرة متغافلين عن ما بين أيدينا نسأل الله للجميع الهداية والتوفيق.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

الأعرجي: د. عاصم وآخرون.

- **نظريات التطوير الإداري**، ط١، وزارة التعليم، بغداد، ١٤٠٢هـ.

باقادر: عبد الله بن أحمد.

- **الكفاءات الإدارية في السياسة الشرعية**، دار المجتمع، جدة، ١٤٠٦هـ.

البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (١٩٤ ـ ٢٥٦هـ).

- **صحيح البخاري**، دار إشبيليا، الرياض، ١٤١٨هـ.

الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩ ـ ٢٧٩هـ).

- **الجامع الصحيح (سنن الترمذي)**، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (ب.ت).

ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن عبد السلام(ت: ٧٢٨ هـ).

- **السياسة الشرعية في إصلاح الرعي والرعية**، ط٤، دار المعرفة بيروت، ١٩٦٩م.

- **الفتاوى**. ٢٨/٢٥٥ـ٢٥٨.

ابن حجر: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت: ٨٥٢).

- **الإصابة في تمييز الصحابة**، ط١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٨هـ.

حميد الله: محمد.

- **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، ط٤، دار النفائس بيروت، ١٤٠٣هـ.

ابن حنبل: الإمام أبي عبدالله أحمد بن محمد (ت: ٢٤١هـ).

- **المسند**، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٩٨هـ.

الخراشي: الخراشي.

- **النشاط الاقتصادي في منطقة المدينة في العهد النبوي**، رسالة دكتوراة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود بالرياض.

الخزاعى: أبو الحسن على بن محمد التلمسانى.

- **تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد الرسول ﷺ من الحرف الصنائع والعمالات الشرعية**، تحقيق أحمد محمود أبو سلامة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤٠١ هـ.

رتشمان ديفيد، وآخرون.

- **الإدارة المعاصرة**، ترجمة د. رفاعي محمد رفاعي ومحمد سيد أحمد عبدالمتعال، دار المريخ، الرياض.

الدارمي : أبو عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام(ت : ٢٥٥).

- **سنن الدارمي**، تحقيق محمد أحمد دهمان، دار إحياء السنة النبوية، (د.م). (د.ت).

الذهبي : الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت : ٨٤٧هـ).

- **سير أعلام النبلاء**، ط١ ، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ١٤٠٥هـ.

- **المغازي**، (من تاريخ الإسلام) تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط١ ، دار الفكر بيروت ١٤٠٧هـ.

السلمي : د. علي.

- **إدارة الإنتاجية**، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٩١م.

السهروردي : أبو الحسن محمد البغدادي.

- **تحرير الأحكام في السياسة**، مخطوط في مكتبة السليمانية بإسطنبول، تحت رقم ٢٨٥٢.

السهيلي : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله.

- **الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية**، لابن هشام، تعليق طه عبدالرؤف سعد، دار المعرفة-بيروت، ١٣٩٨هـ.

السويدان : د. طارق محمد. وباشراحيل، د. فيصل عمر .

- **صناعة النجاح**، ط٢ ، دار الأندلس الخضراء، جدة، ١٤٢١هـ.

ابن أبى شيبة: عبدالله بن محمد (ت: ٢٣٥هـ).

- **المغازي**، تحقيق، عبد العزيز بن إبراهيم العُمري، ط١ دار أشبيليا، الرياض، ١٤١٩هـ.

الصالح: صبحي.

- **النظم الإسلامية**، دار العلم للملايين بيروت، ١٩٨٠م.

الصالحي الشامي: محمد بن يوسف (ت: ٩٤٢).

- **سبل الهدى والرشاد في هدي خير العباد**، ج١ تحقيق مصطفى عبدالواحد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٤هـ.

الضحيان: د. عبدالرحمن إبراهيم.

- **الإدارة والحكم في الإسلام**، ط ٤ بدون مكان (١٤١٧هـ.

- **الإدارة في الإسلام**، ط١، دار الشروق، جدة، ١٤٠٧هـ.

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ).

- **تاريخ الأمم والملوك**، دار الفكر، بيروت (ب.ت).

- **جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبري)**، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ١٤١٢هـ.

عبد الرحيم : محمد عبدالله.

- **أساسيات الإدارة والتنظيم**، الشركة العربية للتوزيع، القاهرة، ١٩٩٢م.

العثيمين : فهد بن سعود بن عبد العزيز.

- **الاتصالات الإدارية ماهيتها وأهدافها**، ط٢، الرياض، ١٤١٤هـ.

علاقي : د. مدني.

- **الإدارة دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية**، نقلًا عن الضحيان، الإدارة في الإسلام.

العمري : أكرم ضياء.

- **المجتمع المدني في عهد النبوة، خصائصه وتنظيماته الأولى**، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٣.

العُمري : عبد العزيز بن إبراهيم.

- **الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين**، ط٢دار أشبيليا، الرياض ١٤٢٠هـ.

الفراء: أبو يعلى محمد بن الحسين الحنبلي (ت : ٤٥٨هـ)

- **الأحكام السلطانية**، تصحيح وتعليق محمد حامد الفقي، مكتبة أحمد نبهان، سربايا، أندونيسيا، ١٣٩٤هـ

قادري: عبدالله أحمد

- **الكفاءة الإدارية في السياسة الشرعية**، دار المجتمع، جدة، ١٤٠٦هـ.

الكتاني: عبدالحى بن عبد الكبير.

- **نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية**، ج٢، دار الكتاب اللبناني بيروت (د.ت)

المصري: د. أحمد محمد.

- **الإدارة الحديثة**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٤١٦هـ

الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب(ت٤٥٠هـ)

- **الأحكام السلطانية**، دار الفكر، بيروت (د.ت)

- **نصيحة الملوك**، تحقيق محمد خضر، ط١، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٣هـ

المباركفوري: محمد بن عبدالرحمن.

- **تحفة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي**، تصحيح عبدالوهاب عبداللطيف المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

مايكل هارت:

- **المائة الأوائل**، ترجمة خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع.

الهواري : د.سيد.

- **الإدارة (الأصول والأسس العلمية)**

مسلم : الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ).

- **الجامع الصحيح**، (صحيح مسلم)، دار الافاق، بيروت (د.ت).

ابن منظور : محمد بن مكرم بن علي (ت٧١١).

- **لسان العرب**، تحقيق عبدالله الكبير، وآخرون، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

النسائي : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي (٢١٤ -٣٠٣هـ).

- **سنن النسائي**، دار إحياء التراث العربي، بيروت (ب.ت).

هاشم : د. زكي محمود.

- **أساسيات الإدارة**، ط٣، ذات السلاسل، الكويت، ١٤١٤هـ

الهواري : د. سيد

- **الإدارة بالأهداف والنتائج**، ط٤، مكتبة عين شمس بالقاهرة، ١٩٩٩م.

- **الإدارة الأصول والأسس العلمية.**

وتر: محمد ظاهر.

- **فن الحرب في الإسلام في عهد الرسول ﷺ (الإدارة العسكرية في حروب الرسول ﷺ)**

وهلين: توماس وهنجر: دافيد،

- **الإدارة الاستراتيجية**، ترجمة محمود عبد الحميد مرسي وآخرون، معهد الإدارة، الرياض، ١٩٨٦م.

ويلسون: دافيد.

- **استراتيجية التغيير**، ترجمة تحية عمارة، مراجعة شفيق رزق الله، ط١، دار الفجر، القاهرة، ١٩٩٥م

أبو يوسف: القاضي يعقوب بن إبراهيم.

- **الخراج**، ط٥، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٩٦هـ.

المبحث الثاني

التجارة الخارجية للجزيرة العربية في عصر الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين

مقدمة :

من دراسة متأنية لكتب التفسير والحديث والفقه بالإضافة لكتب التاريخ والتراجم والأخبار المختلفة يخرج الباحث بحصيلة جيدة وممتازة لبحث الكثير من القضايا الحضارية المرتبطة بالعصر النبوي والخلافة الراشدة، بل ويستطيع أن يستفيد منها في دراسة بعض القضايا المرتبطة بالعصر الجاهلي وما قبل الإسلام بشكل عام، ويأتي في مقدمة تلك القضايا التاريخ الاقتصادي وما يرتبط به من دراسات تاريخية، وتعد بلاد العرب صحراوية في معظمها تعتمد على الرعي بالدرجة الأولى كما تنتشر الزراعة في أصقاع مختلفة منها وخصوصًا في الأطراف الجنوبية منها، ومع ذلك فقد كانت لها منتجاتها الخاصة كما احتاجت لبعض السلع من خارجها وبالتالي فقد عرفت الصلات التجارية مع الكثير من المناطق المجاورة لها منذ القدم، وعدت بعض المناطق العربية مصدرًا للسلع التجارية المختلفة، كما أنها في المقابل استوردت الكثير من السلع، ووجدت فيها أسواق مشهورة دائمة أو موسمية، كما عرف فيها الكثير من المعابر والطرق المرتبطة بالتجارة العالمية والمحلية، وتسعفنا بعض المصادر بروايات مختلفة تتعلق بتجارة بلاد العرب مع العالم الخارجي في زمن رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين رضي الله عنهم.

وهذا البحث يحاول رصد أهم السلع المصدرة من بلاد العرب خلال تلك الفترة وأهم السلع المستوردة وحركة القوافل التجارية من وإلى الجزيرة

العربية خلال فترة البحث، كما يتعرض البحث لأهم المناطق ذات العلاقات التجارية مع الجزيرة العربية خلال تلك الفترة سواء في أفريقيا أو بلاد الشام أو فارس أو بلاد المشرق، وحجم التجارة معها خلال تلك الفترة، من خلال النصوص، كما سيتطرق إلى الاتفاقيات أو النظم ذات العلاقة بالتجارة خلال فترة البحث سواء منها نظام العشور أو الضرائب المختلفة على التجارة، وبعض ما ورد فيها من نصوص تاريخية..

تمهيد:

التجارة تأتي بمعني البيع والشراء وطلب الرزق[١] ولخصها ابن خلدون بأنها: (اشتراء الرخيص وبيع الغالي)[٢] كما أنه قال عنها: (أعلم أن التجارة محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أيًا كانت السلعة من دقيق أو زرع أو حيوان أو قماش، وذلك القدر النامي يسمى ربحًا، فالمحاولة لذلك الربح إما أن يختزن السلعة ويتحين بها حالة الأسواق من الرخص إلى الغلاء فيعظم ربحه، وإما بأن ينقله إلى بلد آخر تنفق فيه تلك السلعة).[٣]

والتجارة الخارجية عبر العصور المختلفة لكل البلدان والأقاليم ومنها الجزيرة العربية تنقسم في اتصالها وطرق تبادلها إلى تجارة برية وتجارة بحرية، ونحن نعلم أنه في الفترة التي سبقت الإسلام وجد لبلاد العرب علاقات تجارية خارجية برية وبحرية،[٤] إلا أن التجارة البرية غلبت أقاليم معينة كالحجاز وشمالي الجزيرة العربية، كما ساد نوعا التجارة البرية والبحرية

---

(١) ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي (ت: ٧١١هـ)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، د. ت.، ج ٤، ص ٨٨.

(٢) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد، (ت: ٨٠٨هـ)، **المقدمة**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩١هـ، ص ٣٩٤.

(٣) ابن خلدون: **المقدمة**، ص ٣٩٤.

(٤) علي جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨، ج ٧، ص ٢٣٢.

كل من البحرين وبقية منطقة الخليج بالإضافة إلى اليمن، وكان لوسائل النقل الموصلة إلى تلك الأقاليم داخل الجزيرة العربية أثر كبير في تنوع التجارة وفي ازدهارها في كل إقليم على حدة.

عصر الرسول ﷺ وعصر الراشدين:

عند البحث عن تحديد زمني دقيق لبداية العصر النبوي نتذكر عدة حوادث يمكن اعتبارها بداية للعصر النبوي، وبما أننا بصدد الحديث عن قضية تاريخية اقتصادية فلاشك أن الأمر أوسع من أن يحدد بحادثة معينة أو سنة محددة، ذلك أن التغير في الحياة الاقتصادية لبلاد العرب وتجارتها الخارجية لم يحدث فجأة أو بصورة قوية كأي تغير ديني أو سياسي أو عسكري أو خلافه.

والعصر النبوي تدرج كما هو معروف بتدرج حياة ودعوة المصطفى ﷺ، وقد قامت دولة الإسلام بهجرة الرسول ﷺ واستقراره مع أصحابه في المدينة، حيث كونوا مجتمعًا بشريًا خاصًا له سماته المميزة حتى في الجوانب الاقتصادية وبمفهوم جديد ونشاط كبير ومداولات أوسع.

ويعد العصر النبوي بداية التأسيس لدولة الإسلام وإقامة سيادتها في بقعة من أرض الله، ويمكننا اعتبار البداية الواقعية لهذا المجتمع وتأسيس كيانه المستقل من الهجرة النبوية وتركيز قاعدته في المدينة المنورة فمنذ ذلك اليوم وكيان الدولة الإسلامية قائم يسوسه الرسول ﷺ.

كانت البداية بسيطة لا تتجاوز المدينة المنورة بل لا تكاد تسيطر عليها جميعًا وأخذ نور الله يتم في المدينة، وأخذت دولة الإسلام تمتد خارجها تدريجيًا بالجهاد والسلم حتى صارت معظم بلاد العرب خاضعة لرسول الله ﷺ وخصوصًا بعد فتح مكة حيث دخل الناس في دين الله أفواجًا،[٥] وجاء الحق: ﴿**وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾ (٨١)[الإسراء].

كما لا يمكننا أن ننسى أن عصر النبوة المبارك ودولته القائمة بقيادة الرسول ﷺ مقدمة لعصر الراشدين، كما أن الرسول ﷺ قرن بين العصرين فيما يفهم من قوله ﷺ الذي رواه الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿**عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا وَسَتَرَوْنَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلَافًا شَدِيدًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**﴾.[٦]

وقد وضع ابن ماجة بابًا في مسنده سماه (باب إتباع الخلفاء الراشدين).[٧]

---

(٥) البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (١٩٤ـ٢٥٦هـ)، **صحيح البخاري**، دار إشبيلياء، الرياض، ١٤١٨هـ، ج ١٦، ص ١٣٤.

(٦) ابن ماجه: الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧ـ٢٧٥هـ)، **سنن ابن ماجه**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة ١٣٧٣هـ.ج١، ص ١٧. ورواه الإمام أحمد في **مسند الشاميين**، باب حديث العرباض بن سارية، ج٤، ص ١٢٦.

(٧) ابن ماجة، **سننه**، باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين، ج١، ص ١٥.

ولذلك فإن عصر الراشدين يعد أميز العصور الإسلامية على الإطلاق بعد عهد النبي ﷺ وقد أجمعت الأمة على ذلك خلال العصور المختلفة، ومن ثم فإن أحداثه لها أهميتها الخاصة في التشريع والقياس والتاريخ.

ويبتدئ عصر الراشدين ببيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة للهجرة النبوية.[٨] وينتهي باستشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في اليوم الثالث والعشرين من رمضان سنة أربعين للهجرة النبوية.[٩]

وقد كانت القيادة في ذلك العصر لأربعة من المبشرين بالجنة كلهم من أصحاب وأصهار رسول الله ﷺ.

كما كان معهم عدد كبير من القواد والمستشارين والمخططين جلهم من أصحاب النبي ﷺ أو من أبنائهم.

وقد انشغل المسلمون أول خلافة أبي بكر بالقضاء على المرتدين في بلاد العرب وإخماد الفتن التي أثاروها وإعادة الوحدة لبلاد العرب تحت راية الإسلام،[١٠] كما كانت بداية الفتوح في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ضد فارس والروم.

---

(٨) خليفة بن خياط: بن أبي هبيرة الليثي العصفري (١٦٠ـ٢٤٠هـ)، **التاريخ**، تحقيق أكرم ضياء العُمري، ط٢، دار القلم ومؤسسة الرسالة، بيروت ١٣٩٧هـ.، ص٩٤.

(٩) خليفة بن خياط، **تاريخه**، ص ١٩٨.

(١٠) انظر: حول حروب الردة، الكلاعي الأندلسي، (**حروب الردة**) تحقيق، أحمد غنيم.

فكان لهذا العصر سماته المميزة، حيث خاض المسلمون جهادًا قويًا ضد المجاورين لبلاد العرب من المجوس في فارس، والروم وأتباعهم في الشام ومصر وكان جزء من هذا الصراع مع نصارى العرب في العراق والشام، وخصوصًا من وقف منهم مع الفرس أو الروم.

وقد نتج عن هذا الجهاد امتداد الإسلام إلى أماكن جديدة وتضاعف رقعة الأراضي المحكومة من قبل الراشدين وخصوصًا في عهد عمر رضي الله عنه ومن جاء بعده، وتبع ذلك تعدد الشعوب واللغات، والاختلاط بحضارات ونظم كانت سائدة في العديد من الأقاليم التي تم ضمها للدولة الإسلامية، كما أن الراشدين اطلعوا على تلك النظم وعرفوا لأساليب المدنية والعسكرية المختلفة التي كانت سائدة فيها من دواوين وبريد ودور أموال وضرب للعملات، وتنظيمات إدارية وعسكرية، وغير ذلك مما يصعب حصره، فأفادوا مما رأوه لا يعارض جوهر الإسلام وقواعد العدل فيه، ومن ثم فإن هذا العصر تميز بالانفتاح على الحضارات القديمة السائدة في المناطق التي سيطر عليها المسلمون وغلبوها، ومع هذا الانفتاح فإن المسلمين بقوا على ثوابتهم، بل نشروها في المجتمعات المفتوحة، ولم يجمدوا على ما يقبل التغيير والتحسين، فحسنوها إلى الأفضل، فنمت الدولة والمجتمع، وتطورت أساليبهم الإدارية والعسكرية لتستوعب النمو في رقعة الدولة والزيادة في الرعية، والتغير في الظروف فكانوا عامل نمو وانضباط لمجتمع وجهوه لتحقيق عبودية الناس لله والعدل بينهم.

كما حدثت الفتنة الكبرى في آخره والتي أدت إلى استشهاد أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، وما تلى ذلك من أحداث امتدت طيلة خلافة علي بن أبي طالب ﷺ لكنها لم تمنع المسلمين من سد ثغورهم أمام الروم وغيرهم في البر والبحر.[١١]

وعند البحث عن تحديد زمني دقيق لبداية العصر النبوي نتذكر عدة حوادث يمكن اعتبارها بداية للعصر النبوي، وبما أننا بصدد الحديث عن قضية تاريخية اقتصادية فلاشك أن الأمر أوسع من أن يحدد بحادثة معينة أو سنة محددة، ذلك أن التغير في الحياة الاقتصادية لبلاد العرب وتجارتها الخارجية لم يحدث فجأة كأي تغير سياسي أو عسكري أو خلافه.

ومع هذا فإني أميل إلى اعتبار البعثة النبوية بداية العصر الرسول ﷺ ذلك أنه بداية ارتباط سماوي بأهل الأرض بعد نزول الوحي على المصطفى ﷺ حيث بدأ ﷺ التغيير في حياة وعقليات العرب والعالم في جوانب مختلفة ومنها التجارة التي كانت شغل عرب الحجاز قبل مبعث رسول الله ﷺ.

والعصر النبوي تدرج كما هو معروف بتدرج دعوة المصطفى ﷺ، وقد قامت دولة الإسلام بهجرة الرسول ﷺ واستمرت بعد القيام تنمو وتمتد

---

(١١) البلاذري: أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت: ٢٧١هـ)، **فتوح البلدان**، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ١٣٩٨هـ، **أنساب الأشراف**، ج ١، تحقيق محمد حميد الله، معهد المخطوطات العربي ودار المعارف، القاهرة ١٩٥٩م، ص ٣٢٤.

وتقوى حتى سيطرت على بلاد العرب وغيرت نظمها الدينية والاجتماعية والاقتصادية، وامتدت إلى مناطق أخرى بعد رسول الله ﷺ في عهد خلفائه الراشدين.

وأما نهاية عصر الراشدين فاستشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في رمضان سنة ٤٠هـ.(١٢)

أهمية التجارة:

تعد التجارة من أهم الحرف التي يمتهنها العرب في العصر الجاهلي وخصوصًا عرب الحجاز وبالذات قريش التي ما سميت قريشًا إلا لتقرشها المال والعمل في التجارة،(١٣) وحينما بعث النبي ﷺ ونزلت علية آيات القرآن بالتدرج أشارت كثيرًا منها إلى التجارة فأطول آيات القرآن وهي آية الدين ورد الحديث فيها عن التجارة ومنها: ﴿**إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾(٢٨٢)[البقرة].

---

(١٢) انظر: ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت: ٧٧٤هـ)، **البداية والنهاية**، ط٣، مكتبة المعارف بيروت ١٩٧٨م، ج ٧، ص ٣٢٧.

(١٣) ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله (ت: ٦٢٦هـ)، **معجم البلدان**، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ج، ٤، ص ٣٣٦(د.ت).
وقال: (القريش تصغير القرش وهو الجمع من هنا وهاهنا ثم يضم بعضه إلى بعض).

كما ورد الحديث عن التجارة وما يتعلق بها من كساد وغيره في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾(٢٤)[التوبة].

وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾(٢٩)[النساء].

وفي قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (٣٧) [النور].

وقد عملت الشريعة الإسلامية التي طبقها النبي ﷺ على تأمين الطرق والبلدان مما أثر بدرجة كبيرة في التبادل التجاري، فقد حارب الإسلام اللصوص الذين كانوا يتعرضون للطرق ويعطلون التجارة وينهبونها ويؤذون الناس.(١٤)

---

(١٤) انظر: الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ)، **تاريخ الأمم والملوك**، دار الفكر، بيروت (ب.ت). **مشاهير علماء الأمصار**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ. **جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبري)**، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ١٤١٢هـ، ج ٤، ص ٥٤٦.

مناطق التبادل التجاري الخارجي:

علاقة الجزيرة العربية التجارية بالمناطق الخارجية كانت قوية منذ زمن طويل قبل الإسلام، ولا يستطيع الإنسان أن يفصل بين فترات محددة في مجال الدراسات الاقتصادية التاريخية، إلا أن الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها وخصوصًا في عصر الراشدين تميزت بدخول شعوب كثيرة في الإسلام بعد مرحلة الفتوح في بداية عصر الراشدين، مما زاد من ارتباط هذه الشعوب ببلاد العرب لأمور دينية مختلفة يأتي على رأسها موسم الحج، الذي جعل الكثير منهم يقدم في موسمه لبلاد العرب، وكان الكثير من هؤلاء الحجاج وغيرهم من المسلمين الجدد يحرصون على الاستفادة من المواسم التجارية المصاحبة للحج والزيارة، ومن ثم زادت الروابط التجارية بين بلاد العرب ومناطق الفتح الإسلامي الجديد وخصوصا بعد استقرار الفتوح،[(١٥)] كما أن مشاركة الكثير من أبناء القبائل العربية في الفتوح المختلفة وترددهم بين مناطق الفتح وبلاد العرب بأهداف مختلفة لم يخل من أهداف تجارية أخرى وتبادل للسلع بل نكاد نجزم أن كل رحلة بين مناطق الفتح وبلاد العرب لم تخل من سلع منقولة من أو إلى أي منهما بطريقة أو أخرى، ولعل وجود الجمال بين أيدي العرب ومعرفتهم بها وبتربيتها كان

---

(١٥) هايد: ف. **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى**. ترجمة أحمد محمد رضا، مراجعة. عز الدين فودة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٣.

له أثر في استغلالهم لها لنقل البضائع في مواسمهم المختلفة من أو إلى بلاد العرب.(١٦)

بلاد الشام: تعد من أهم المناطق التي وصلها التجار العرب للبيع والشراء حيث كانوا يسوقون فيها تجارتهم ويجلبون منها السلع، ولعل إشارة القرآن لهذا الأمر تعد من أهم ما ورد في ذلك في قوله تعالى **(لإيلاف قريش..)** حيث ذكر العلماء أن المراد بالآيات ما كانت تألفه قريش من رحلات تجارية في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام بالدرجة الأولى مع وجود بعض الرحلات المستمرة إليها طوال.(١٧) العام وبالتالي فإن أهل مكة أهل سفر وقوافل مختلفة للتجارة في هذه البلدان.(١٨)

وكان هاشم جد النبي ﷺ تاجرًا يتردد على الشام عن طريق المدينة وتزوج منها لتردده عليها في تجارته إلى الشام.(١٩)

وكانت أهم المراكز التجارية في بلاد الشام التي وصلها تجار مكة

---

(١٦) انظر: علي: جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨، ج٧، ص ٣٢١.

(١٧) انظر: د. عبد العزيز الهلابي، **حقيقة رحلة قريش إلى الشام**، مجلة الدارة، السنة ٢٢، العدد ٤، ١٤١٧هـ.

(١٨) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٤، ص ٥٥٣.

(١٩) الطبري، **تاريخه**، ج، ١ ص ٥٠١. ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج ٢، ص ٢٥٣.

(بُصرى)، [٢٠] حيث ذكر أن الرسول ﷺ وصل إليها برفقة عمه أبي طالب.[٢١]

كما أن تجار الشام من الروم وغيرهم يصلون باستمرار إلى أسواق العرب وخصوصًا ما كان على الأطراف الشمالية مثل دومة الجندل وغيرها من الأسواق الشمالية للجزيرة العربية.[٢٢]

كما أن عمه أبا طالب حثه على التجارة في أموال خديجة بقوله: (يا ابن أخي أنا رجل لا مال لي وقد اشتد الزمان علينا وألحت علينا سنون منكرة وليست لنا مادة ولا تجارة وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام وخديجة ابنة خويلد تبعث رجالا من قومك في عيرها فلو تعرضت لها وبلغ خديجة ذلك فأرسلت إليه وأضعفت له ما كانت تعطي غيره).[٢٣] فكان ﷺ يضارب لها في مالها ويرحل به إلى الشام.[٢٤]

---

(٢٠) بصري: قصبة حوران من أعمال دمشق في بلاد الشام اشتهرت عند العرب منذ القدم (الحموي، **معجم البلدان**، ج١، ص٤٤٠)

(٢١) ابن هشام: أبو محمد عبد الملك المعافري (ت٢١٣هـ)، **السيرة النبوية**، تعليق طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة شقرون، القاهرة (د.ت)، ج ١، ص ١٨١. الأصبهاني، **دلائل النبوة** ص ١٢٤.

(٢٢) جواد علي، **المفصل**، ج٧، ص ٣٧١.

(٢٣) ابن سعد: محمد بن منيع الهاشمي، مولاهم ـ كاتب الواقدي ـ (ت: ٢٣٠هـ)، **الطبقات الكبرى**، دار صادر، بيروت (ب.ت)، ج ١، ص ١٥٦.

(٢٤) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ٦، ص ٢٨٦.

ولاشك أن تجارة عرب الحجاز عمومًا وأهل مكة خصوصًا مع أهل الشام لم تكن حادثة في العصر النبوي بل كانت قديمة حيث أكد المؤرخون أن هاشم بن عبد مناف جد النبي ﷺ توفي في (غزة) وهو في تجارة لقريش إلى تلك المناطق،[(٢٥)] ولم تكن علاقة قريش التجارية مع الشام لخدمة منطقة الحجاز فقط بل اعتبر تجار قريش واسطة للتجارة بين الشام وما يقع جنوب الحجاز وخصوصًا اليمن.[(٢٦)]

وقد ثبت أن عفان والد عثمان بن عفان ﷺ هلك في تجارة إلى الشام.[(٢٧)]

وفي بداية علاقة الروم بالإسلام ثبت أن هرقل حينما وصلته رسالة النبي ﷺ أخذ يبحث عن تجار من الحجاز حتى وقع على أبي سفيان بن حرب فاستدعاه وأخذ يوجه له بعض الأسئلة عن رسول الله ﷺ ليعرف حقيقته.[(٢٨)]

وقد ورد عن أبي العاص بن الربيع صهر رسول الله ﷺ في ابنته زينب أنه

---

(٢٥) الصالحي الشامي: محمد بن يوسف (ت: ٩٤٢)، **سبل الهدى والرشاد في هدي خير العباد**، تحقيق مصطفى عبد الواحد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٤هـ، ج ١، ص ٣١٦.

(٢٦) جواد علي، **المفصل**، ج ٧، ص ٢٨٥.

(٢٧) المقدسي: مطهر بن طاهر (ت: ٥٠٧هـ)، **البدء والتاريخ**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت)، ج ٥، ص ٧٩.

(٢٨) البخاري، **صحيحه**، كتاب بدء الوحي، الحديث السابع، وانظر: ابن كثير، **السيرة النبوية**، ج ٣، ص ٤٩٦.

(خرج في تجارة لقريش فاعترضه زيد بن حارثة في سرية فقتلوا جماعة من أصحابه وغنموا العير وفر أبو العاص هاربا إلى المدينة فاستجار بامرأته زينب فأجارته فأجاز رسول الله جوارها ورد عليه ما كان معه من أموال قريش فرجع بها أبو العاص إليهم فرد كل مال إلى صاحبه ثم تشهد شهادة الحق وهاجر إلى المدينة).[٢٩]

كما أن أبا بكر الصديق ﵁ صحب رسول الله ﷺ وهو ابن ثمان عشرة سنة في تجارة إلى الشام وكان لا يفارقه في أسفاره وحضره.[٣٠]

وقد ثبت أن طلحة بن عبيد الله (غاب عن وقعة بدر في تجارة له بالشام وتألم الرسول ﷺ لغيبته فضرب له ﷺ بسهمه).[٣١]

وقد كان عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ﵁ ممن يزور الشام للتجارة قبل إسلامه حتى وقع في عشق ليلى بنت الجودى فكانت بعد ذلك من نصيبه في السبي بعد فتح دمشق في عهد عمر بن الخطاب ﵁.[٣٢]

---

(٢٩) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ٦، ص ٣٥٤.
(٣٠) المحب الطبري، **الرياض النضرة**، ج١، ص ٤٠٠.
(٣١) الذهبي: الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٨٤٧هـ)، **سير أعلام النبلاء**، ط١، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ١٤٠٥هـ. **السيرة النبوية**، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة الهلال، بيروت، بدون تاريخ، ج ١، ص ٢٥. ابن حجر: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢:)، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ط١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٨هـ، ج ٣، ص٥٣٠.
(٣٢) ابن سلام: أبو عبيد القاسم (ت: ٢٢٤ هـ)، **كتاب الأموال**، تحقيق محمد خليل هراس، ط ١، بيروت، ١٣٩٦هـ، ص ٤٠١. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٢، ص ٤٧٢. ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ٨، ص٩٠. ابن حجر، **الإصابة**، ج ٤، ص ٤٠٦.

كما أنه من الثابت أن سبب غزوة بدر محاولة الرسول ﷺ اعتراض قافلة لقريش قادمة من الشام.(٣٣)

وقد ثبت دحية بن خليفة الكلبي حين بعثه رسول الله لقيصر صاحب الروم كان معه تجارة توجه بها إلى الشام.(٣٤)

كما يذكر المؤرخون في سبب إسلام إبان بن العاص أنه: (اجتمع براهب وهو في تجارة بالشام فذكر له أمر رسول الله فقال له الراهب ما اسمه قال محمد قال فانا أنعته لك فوصفه بصفته سواء وقال إذا رجعت إلى أهلك فأقرئه السلام فاسلم).(٣٥)

وتتحدث الروايات عن: (سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة بوادي القرى ثم سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة بناحية بوادي القرى على سبع ليال من المدينة في شهر رمضان سنة ست من مهاجر رسول الله قالوا خرج زيد بن حارثة في تجارة إلى الشام ومعه بضائع لأصحاب النبي فلما كان دون وادي القرى لقيه ناس من فزارة من بني بدر فضربوه وضربوا أصحابه

---

(٣٣) البخاري، **صحيحه**، ج ٥، ص ٤. ابن أبي شيبة، **المغازي**، ص٨٠. الإمام أحمد بن حنبل، **المسند**، ج ١، ص ١١٧. الذهبي، **المغازي**، ص ٨٠. ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٢، ص٦٠٦.

(٣٤) الطبري، **تاريخه**، ج ٢، ص ٢٠١.

(٣٥) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ٥، ص ٣٤٠.

وأخذوا ما كان معهم ثم استبل زيد وقدم على رسول الله فأخبره فبعثه رسول الله إليهم).(٣٦)

ولكي نعرف حجم التبادل التجاري بين قريش في مكة وبلاد الشام فإننا نجد أنه خلال فترة سنة ونصف قبل غزوة بدر وبعد استقرار الرسول ﷺ في المدينة المنورة تعرضت سبع قوافل لقريش لسرايا من رسول الله ﷺ.(٣٧)

وهذا يجعلنا نقدر حجم تجارة قريش إلى الشام، مع العلم أنه ربما وجدت قوافل أخرى كبيرة لم تتعرض لها سرايا رسول الله ﷺ.

وقد تكررت ضربات المسلمين ضد تجارة قريش وأوجعتهم وأضرت بتجارتهم مع الشام،(٣٨) وكان هذا بمثابة حصار اقتصادي منع تجارة قريش مع الشام، أثناء حربها لرسول الله ﷺ .

وقد ذكرت المصادر أن إحدى قوافل قريش القادمة من الشام والتي تعرض لها رسول الله ﷺ في غزوة بواط تقدر بـ ألفين وخمسمائة بعير.(٣٩)

---

(٣٦) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٢، ص ٩٠.

(٣٧) دروزة: محمد عزة، **عصر النبي**، ط ٢، دار اليقظة، بيروت، ص ٧٤.

(٣٨) انظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٢، ص ٦٠٣. الواقدي: محمد بن عمر بن واقد (ت: ٢٠٧ هـ)، **المغازي**، تحقيق د. مارسون جونس عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، ج١، ص١٣. الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ج٢، ص ٢٦٢.

(٣٩) الواقدي، **المغازي**، ج ١، ص ١٢. ابن الأثير، **الكامل**، ج٢، ص ١١٢.

وقد روى البخاري في كتاب (**تفسير القرآن**) باب (وإذا رأوا تجارة أو لهوًا)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال أقبلت عير يوم الجمعة ونحن مع النبي ﷺ فثار الناس إلا اثني عشر رجلا فأنزل الله ﴿**وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا**﴾.(٤٠)

ويؤكد المفسرون أن التجارة كانت لدحية الكلبي قبل إسلامه، وأنها كانت قافلة تحمل طعامًا وزيتًا في زمن حاجة.(٤١)

ونستطيع أن نخلص إلى أن أهم أسواق الشام التي قصدها التجار من بلاد العرب في عصر الرسول ﷺ هي بصرى وغزة وبيت المقدس ودمشق بالإضافة إلى أسواق أخرى. وقد زادت الصلة بهذه الأسواق وامتدت لغيرها بعد الفتح الإسلامي للشام.

وقد كان بعض الصحابة يتوجهون للتجارة من بيت المقدس خصوصًا في زمن الرسول ﷺ.(٤٢)

وبعد استقرار المسلمين في بيت المقدس بعد فتحها كان الكثير منهم يقدم إليها جامعًا بين التجارة والصلاة فيه في وقت واحد وقد دار بين كعب

---

(٤٠) **سورة الجمعة**، من الآية ١١. البخاري: **صحيحه**، في كتاب (**تفسير القرآن**) باب {وإذا رأوا تجارة أو لهوا}، ج ٦، ص ٣.

(٤١) انظر: **تفسير الطبري**، ج١٢، ص ٩٧.

(٤٢) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٢ ص ٤٧٩.

الأحبار وبين أحد هم حوار سأله فيه فقال: (ما جاء بك ؟قال جئت لأصلي في هذا المسجد ولأ لقى كعبا فقال هو جليسك فقال كعب أفما جئت إلا أن تصلي فيه قال نعم قال كعب ما من عبد يقوم من الليل فيتوضأ ويصلي ركعتين إلا خرج من ذنوبه كهيئته يوم ولدته أمه ومن جاء إلى بيت المقدس ليصلي فيه من غير تجارة ولا بيع إلا رجع كهيئته يوم ولدته أمه).(٤٣)

كما أن النساء في عصر عمر كن يشاركن في التجارة إلى الشام مع أولادهن كما ورد في قصة لهند بنت عتبة أم معاوية بن أبي سفيان أنها ذهبت في تجارة إلى الشام في زمن عمر بن الخطاب.(٤٤)

وقد ثبت أن بعض فقهاء المدينة في عصر الراشدين كانوا كثيري التجارة مع الشام منهم: (قبيصة بن ذؤيب الخزاعي الكعبي أبو سعيد من فقهاء أهل المدينة وعبادهم كان كثير السفر إلى الشام في تجارة وغزو فحديثه عند أهل الشام والمدينة معا كان مولده عام الفتح توفى بالمدينة سنة ست وثمانين التعليق).(٤٥)

---

(٤٣) الأصبهاني: أبو نعيم أحمد عبد الله (ت: ٤٣٠هـ)، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، بيروت، ج ٥، ص ٣٨١.

(٤٤) الطبري، **تاريخه**، ج ٢، ص ٥٧٦.

(٤٥) الطبري، **مشاهير علماء الأمصار**، ج١، ص ٦٤.

مصر: كانت إحدى أهم المناطق التي تتبادل التجارة مع بلاد العرب وخصوصًا مع الحجاز حيث عرف عن بعضهم استيراد الأقمشة وغيرها من البضائع المصرية إلى الحجاز.(٤٦)

كما كانت مصر في عصر الراشدين وخصوصًا بعد استقرار أوضاعها عقب الفتح الإسلامي من أهم مناطق التبادل التجاري مع الجزيرة العربية، حيث كانت البضائع تنقل منها إلى الحجاز وإلى اليمن عبر البحر الأحمر، وقد ساعد على ذلك حفر قناة أمير المؤمنين التي قربت بين النيل والبحر الأحمر، وهي قناة قديمة جددت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.(٤٧)

ومما روي أن عبد الرحمن بن عوف جاءته مائة راحلة من مصر عليها تجارة فوزعها بين أرامل أهل المدينة وأيتامها.(٤٨)

العراق وفارس: تعد من أكثر المناطق صلة بالجزيرة العربية في مجال التبادل التجاري قبل الإسلام فقد وصل تجار مكة إلى الحيرة ووصل تجار الحيرة إلى

---

(٤٦) ابن حجر، **الإصابة**، ج ٥، ص ٦٠٣.

(٤٧) لمزيد من التفاصيل حول هذه القناة انظر: ابن عبد الحكم: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، (ت: ٢٥٧هـ)، **فتوح مصر وأخبارها**، لايدن، ١٩٢٠م، ص ١٢٢. البلاذري، **فتوح البلدان**، ص٢١٧. اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت٢٨٢هـ)، **تاريخ اليعقوبي**، دار صادر، بيروت، ١٣٧٩هـ، ص ١٥٤. النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (٦٧٧ ـ ٧٣٣هـ)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، دار الكتب الوطنية، القاهرة، (ب.ت)، ج١٩، ص ٣٢٧. هايد: ف. ، **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى**، ص ٥٧.

(٤٨) المحب الطبري، **الرياض النضرة**، ج ١، ص ٢٣٣.

العراق ونسبت لذلك بعض الروايات انتشار القراءة والكتابة في مكة والطائف، ومع أن ما يهمنا من الرواية ما يتعلق بوصول التجار إلى مكة والطائف إلا أن الرواية تمتد لتأثيرات أخرى، حيث ذكر (قدوم رجل من أهل الحيرة ثم أتى مكة في بعض شأنه فرآه سفيان بن أمية بن عبد شمس وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب يكتب فسألاه أن يعلمهما الخط فعلمهما الهجاء ثم أراهما الخط فكتبا ثم إن بشرًا وسفيان وأبا قيس أتوا الطائف في تجارة فصحبهم غيلان بن سلمة الثقفي فتعلم الخط منهم وفارقهم بشر ومضى إلى ديار مضر فتعلم الخط منه عمرو بن زرارة بن عدس فسمى عمرو الكاتب ثم أتى بشر الشام فتعلم الخط منه ناس هناك وتعلم الخط من الثلاثة الطائيين أيضا رجل من طابخة كلب فعلمه رجلا من أهل وادي القرى فأتى الوادي يتردد فأقام بها وعلم الخط قوما من أهلها).(٤٩)

كما تذكر المصادر في سبب حرب الفجار (أن عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن أجاز لطيمة أي تجارة للنعمان بن المنذر فقال البراض بن قيس أحد بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة أتجيزها على كنانة قال نعم وعلى الخلق فخرج فيها عروة الرحال وخرج البراض يطلب غفلته حتى إذا

---

(٤٩) البلاذري، **فتوح البلدان**، ج ١، ص ٤٥٧.

كان بتيمن ذي طلال بالعالية غفل عروة فوثب عليه البراض فقتله في الشهر الحرام فلذلك سمي الفجار).[٥٠]

ومن ذلك أن رستم كان يحاور أحد المسلمين قبيل القادسية ويشير لهذه القضية في رواية الطبري التي جاء فيها الحديث عن العرب في قوله: (كنا نحسن جوارهم ونكف الأذى عنهم ونوليهم المرافق الكثيرة نحفظهم في أهل باديتهم فنرعيهم مراعينا ونميرهم من بلادنا ولا نمنعهم من التجارة في شيء من أرضنا وقد كان لهم في ذلك معاش).[٥١]

كما وردت قصة أخرى عن تجار من قريش ذهبوا للتجارة في فارس تبين ذكاء بعضهم ولباقته في الحديث مع كسرى: (خرج أبو سفيان بن حرب في جمع من قريش وثقيف يريدون بلاد كسرى بتجارة لهم فلما ساروا ثلاثا جمعهم أبو سفيان فقال إنا في سيرنا هذا لعلى خطر ما قدومنا على ملك لم يأذن لنا بالقدوم عليه وليست بلاده لنا بمتجر فأيكم يذهب بالعير فنحن برآء من دمه إن أصيب وان يغنم فله نصف الربح فقال غيلان بن سلمة إنا امضي بالعير وأنشده:

فلو رآني أبو غيلان إذ حسرت ... عنى الأمور بأمر ماله طبقُ

لقال رغب ورهب أنت بينهما ... حُبُّ الحياة وهول النفس والشّفق

---

(٥٠) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ٢، ص ٢٨٩.

(٥١) الطبري، **تاريخه**، ج ٢، ص ٤٠٠.

أما مشف على مجد ومكـــرمة   أو أسوة لك فيمن يهلك الورق

فخرج بالعير وكان أبيض طويلا جعدا فتخلق ولبس ثوبين أصفرين وشهر نفسه وقعد بباب كسرى حتى أذن له فدخل عليه وشباك بينه وبينه فقال الترجمان يقول لك ما أدخلك بلادي بغير إذني فقال لست من أهل عداوة لك ولم أكن جاسوسا وإنما حملت تجارة فان أردتها فهي لك وان كرهتها رددتها قال فإنه ليتكلم إذ سمع صوت كسرى فخر ساجدا فقال له الترجمان يقول لك ما أسجدك قال سمعت صوتا مرتفعا حيث لا ترتفع الأصوات فظننته صوت الملك فسجدت قال فشكر له ذلك وأمر بمرفقة فوضعت تحته فرأى فيها صورة الملك فوضعها على رأسه فقال له الحاجب إنما بعثنا بها إليك لتقعد عليها فقال قد علمت ولكني رأيت عليها صورة الملك فوضعتها على أكرم أعضائي فقال ما طعامك في بلادك قال الخبز قال هذا عقل الخبز).(٥٢)

وقد اشتهر عن عبد الله بن جدعان وهو أحد أكبر تجار قريش أنه كثير التجارة مع الحيرة، حتى أحب طعامه واستقدم طباخًا منها.(٥٣)

وفي الوقت نفسه فإن تجار الحيرة انتشروا في أماكن مختلفة من الجزيرة العربية حتى قيل: (إنك لا ترى في الأرض مكان ليس فيه حيري).(٥٤)

---

(٥٢) ابن حجر، **الإصابة**، ج ٥، ص ٣٣٢.
(٥٣) جواد علي، **المفصل**، ج ٧، ص ٢٩٥.
(٥٤) ابن العبري: (غريغوس الملطى (ت: ١٢٨٦م)، **مختصر الدول**، ط ٣، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٢٥٠. جواد علي، **المفصل**، ج ٧، ص ٢٩٦.

الحبشة: تعد من أكثر المناطق التي تستقبل التجار من بلاد العرب، كما أن العرب يستوردون منها العديد من المنتجات المختلفة، وقد كانت الحبشة ترتبط بأوربا بعلاقات تجارية خاصة مع الروم عن طريق أقاليمها التابعة لها في الشام ومصر، وكانت تجارة الحبشة تعبر البحر الأحمر، كما كانت بعضها تنزل في اليمن وينقلها العرب برًا إلى بلاد الشام.(٥٥)

وتؤكد بعض المصادر ارتباط رحلة الشتاء بالأحباش منذ بداياتها الأولى وارتباطها من جانب آخر بالشام، يقول اليعقوبي في تاريخه: (وكان أول من سن الرحلتين رحلة الشتاء إلى الشام ورحلة الصيف إلى الحبشة إلى النجاشي وذلك أن تجارة قريش لا تعدو مكة فكانوا في ضيق حتى ركب هاشم إلى الشام فنزل بقيصر فكان يذبح في كل يوم شاة ويضع جفنة بين يديه ويدعو من حواليه وكان من أحسن الناس وأجملهم فذكر لقيصر فأرسل إليه فلما رآه وسمع كلامه أعجبه وجعل يرسل إليه فقال هاشم أيها الملك إن لي قوما وهم تجار العرب فتكتب لهم كتابا يؤمنهم ويؤمن تجارتهم).(٥٦)

وما أشرنا إليه في النص السابق يؤيده ابن هشام إلا أنه يشكك في كون هشام أول من سن الرحلة.(٥٧)

---

(٥٥) هايد: ف.، **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى**، ص ٢٢.

(٥٦) اليعقوبي، **تاريخه**، ج ١، ص ٢٤٢.

(٥٧) انظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج ١، ص ١٣٧.

ولعل قوافل قريش التجارية بين اليمن ومكة، وبين مكة والشام كانت تقوم ببعض المهام في هذا الجانب.

وقد لعبت بعض الموانئ الحجازية دور الوسيط في التجارة بين الروم والحبشة بشكل محدود جدًا قبيل الإسلام، مثل ميناء الشعيبة قرب مكة المكرمة، الذي كانت تمر به بعض سفن الروم المتوجهة إلى الحبشة، وقد ذكر تحطم إحدى هذه السفن بالقرب على سواحل جدة(٥٨) قبل البعثة النبوية بقرابة خمس سنوات، وكانت هذه السفينة تحمل الأخشاب وبعض مواد البناء التي اشتراها أهل مكة فكانت عونًا لهم في بناء الكعبة.(٥٩)

كما تدل الأخبار المتفرقة أن الذين هاجروا من أصحاب النبي ﷺ إلى الحبشة ركبوا البحر إما من الشعيبة(٦٠) أو من سواحل اليمن،(٦١) ولاشك

---

(٥٨) الشعيبة: قرية على شاطئ البحر الأحمر مقابل مكة المكرمة، وهي ميناؤها منذ القدم وقبل أن تعرف جدة في العصور المتأخرة، وقد زرتها بنفسي وتبعد عن مكة قرابة ١٠٠كيلو متر إلى الغرب على طريق الليث (انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٣، ص ٣٥١).

(٥٩) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج ١، ص ١٩٣. ابن الأثير، **الكامل**، ج٢، ص ٤٤. ابن فهد، **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، ج ١، ص ١٤٦. الصالحي الشامي، **سبل الهدى والرشاد**، ج ٢، ص ٢٢٨.

(٦٠) الطبري، **تاريخه**، ج ٢، ص ٢٢١.

(٦١) السهيلي: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله، **الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية** لابن هشام، تعليق طه عبد الرؤوف سعد، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ. ، ج ٢، ص٢٥٠. وانظر، جواد علي، **المفصل**، ج٧، ص ٢٥٩.

أن السفن التي استخدموها كانت مما ينقل التجارة بالدرجة الأولى وليست عسكرية.

كما كان لليمن نشاط بحري مع الحبشة ومع الهند، في عصور مختلفة قبل الإسلام وبعده.(٦٢)

وتعد أسواق صحار ودبا من أكثر المناطق التجارية في بلاد العرب استقبالًا للتجار القادمين من الهند والسند بل ومن الصين وما جاورها.(٦٣)

الهند: وتعد من مناطق التبادل التجاري مع بلاد العرب، ويتركز تبادلها مع اليمن والبحرين وعمان ففي مناطق الخليج في الشرق نجد أن أهل البحرين وعُمان على دراية بالبحر منذ العصور القديمة،(٦٤) ومن المؤكد أن درايتهم هذه بالبحر مردودة للروابط التجارية التي يعد من أهم مناطقها الهند وما يرتبط به من جزر قد ثبت في بعض النصوص التي ربما تكون متأخرة أن إحدى النساء الصالحات كانت لها تجارة إلى الهند عن طريق البحر، وقد هلكت تجارتها فكانت صابرة محتسبة مما أثار إعجاب عبدالله ابن عمر.(٦٥)

---

(٦٢) انظر: سعاد ماهر، **البحرية الإسلامية**، ص ٦٠.

(٦٣) جواد علي، **المفصل**، ج ٧، ص ٣٧٦.

(٦٤) سعاد ماهر، **البحرية في مصر الإسلامية**، القاهر، ص ٥٦.

(٦٥) أبو نعيم الأصبهاني، **حلية الأولياء**، ج ٢، ص ٢٩٦. ابن الجوزي، **صفوة الصفوة**، ج ٤، ص ٧٧.

كما أن عدن في جنوب اليمن تعد مركزًا بحريًا هامًا يربط بالهند منذ ما قبل الإسلام إلى عصور لاحقة مرورًا بعهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين يقول عنها ياقوت: (مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن .... هذا الموضع هو مرفأ مراكب الهند والتجار يجتمعون إليه لأجل ذلك فإنها بلدة تجارة).(٦٦)

وتنسب السيوف الهندية إلى الهند ولعل ذلك مما يدل على استيرادها من هناك.(٦٧)

وقد وصف رسول الله ﷺ رجالًا من العرب بأنهم كأنهم رجال الهند،(٦٨) مما يدل على معرفته ﷺ بصفات أهلها.

وقد وعد رسول الله ﷺ بفتح الهند ووضع ابن كثير عنوانًا خاصًا: (الإخبار عن غزوة الهند)(٦٩) مما يدل على معرفته ﷺ بالهند ولعل تجارة العرب معه في تلك الفترة من أهم أسباب هذه المعرفة.(٧٠)

---

(٦٦) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج ٤، ص ٨٩.

(٦٧) الطبري، **تاريخه**، ج٣، ص ٦٠١. الأزرقي: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت: ٢٥٠ هـ)، **أخبار مكة**، ط ٣، تحقيق رشدي ملحس، دار الثقافة، بيروت، ١٣٣٩هـ، ج٣، ص ١٣٩. ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج٣، ص ٣٣٩. ج٤، ص ٥٦.

(٦٨) ابن حجر، **الإصابة**، ج ٦، ص ٤٩٣.

(٦٩) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ٥، ص ٩٨.

(٧٠) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ٦، ص ٢٢٣.

وقد اشتهرت بعض المناطق في ناحية البحرين بأنها مصدر للمسك المجلوب من الهند مما يدل على قوة صلاتها الاقتصادية مع الهند.(٧١)

كما أن رماح القنا من أشهر ما يجلب من نواحي الهند واشتهرت البحرين وعمان بأنها مركز لتجارتها.(٧٢)

وقد كان ميناء الأُبلة في شمال الخليج يسمى ثغر الهند، وهو أهم الموانئ الفارسية في استقبال السفن الهندية القادمة بالبضائع لتعبر من هناك إلى الشام وغيرها من مواقع التجارة البيزنطية،(٧٣) ولاشك أن وصول السفن إلى ميناء الأُبلة يتطلب مرورها بعدد من الموانئ في الخليج مما يتيح المجال للتبادل التجاري بشكل قوي سواء فيما قبل الإسلام أو بعده.

كما اشتهرت بعض الموانئ في عمان بكثرة السفن الوافدة إليها من الهند عبر العصور المختلفة وشواهدها في الشعر الجاهلي،(٧٤) ولاشك في استمرار هذا الأمر في زمن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين.

---

(٧١) البكري: عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت: ٤٨٧هـ)، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تحقيق مصطفى السقاء، عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، ج ٢، ص ٥٠٦. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج٢، ص ٤٣٢.

(٧٢) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص ٣٧٨، ٤٠٠.

(٧٣) انظر، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج١، ص ٧٦. جواد علي، **المفصل** ج٧، ص٢٨١.

(٧٤) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٤، ص ٣٩٣.

وقد اشتهرت بعض المدن الفارسية بعلاقاتها التجارية مع الهند، (75) وقد تم فتح تلك المدن في زمن عمر بن الخطاب ﷺ، ولاشك أن هذا قد ساعد على وصول بعض التجار العرب إليها وربما نقلهم منها لبعض البضائع القادمة إلى الهند، خصوصًا أن الأموال كانت كثيرة ومتوفرة بعد الفتوح في عصر عمر ﷺ وما تلاه من الخلفاء الراشدين.

كما كان البخور معروفًا في زمن النبي ﷺ وخلفائه الراشدين وهو مما يجلب من الهند.(76)

وكان العرب منذ ما قبل الإسلام يستوردون القسطل الهندي وهو من أنواع البخور ويعيدون تصديره إلى بلاد الشام مرة أخرى لتستفيد منه الكنائس والقصور.(77)

مناطق التبادل التجاري العربية:

لاشك أن العرب تبادلوا التجارة مع المناطق القريبة في داخل تلك البلدان كما كان لهم أسواق مختلفة اشتهرت في العصر الجاهلي يصعب حصرها وحديثنا عن الأسواق ذات العلاقة بالتجارة الخارجية والتي استمرت في العصر النبوي وبقي بعضها إلى عصر الراشدين، حيث كانت بعض منها

---

(75) انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج 5، ص 403.
(76) الأزرقي، **أخبار مكة**، ج1، ص 90.
(77) جواد علي، **المفصل**، ج 7، ص 237.

أسواق موسمية مرتبطة بزمن أو حدث معين وبعض منها أسواق دائمة مرتبطة بكثافة سكانية معينة، وقد ألفت كتب خاصة في أسواق العرب مما يصعب حصرها، وعمومًا فإن هذه الأسواق هي أهم مواطن التبادل التجاري مع السلع أو التجار القادمين من خارج بلاد العرب، كما أن مواقع مضارب القبائل العربية المختلفة كانت مراكز جذب للتجار القادمين بسلع خارجية، وكان الذين يقصدون القبائل في الغالب من العرب أو النبط، ويأتي في مقدمة الأسواق في العصر النبوي :-

المدينة المنورة: كانت من الأسواق المشهورة في التبادل التجاري مع خارج الجزيرة العربية وفي بداية الهجرة كان نشاط اليهود التجاري في المدينة وأسواقها قويًا في التجارة المحلية والتبادل الخارجي ولذلك فقد حرص الرسول ﷺ على أن يكون للمسلمين نفوذهم في أسواق المدينة حيث ضرب للمسلمين سوقًا للمدينة وأصدر أوامره بأن لا يؤخذ من التجار فيه خراجًا(٧٨) (ضرائب) تشجيعًا لهم على التكاثر في السوق وذكر بعض المؤرخين أن موضع السوق كان في ناحية من المدينة يصل إليها التجار القادمون من الشام قبل أن يصلوا إلى سوق بني قينقاع المنافس لهم(٧٩) مما

---

(٧٨) ابن أبي شبة: أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري (ت: ٢٦٤هـ). **تاريخ المدينة**، ط١، تحقيق محمود شلتوت، نشر السيد حبيب، المدينة المنورة ١٣٩٣هـ.، ج١، ص ٣٠٤. البلاذري، **فتوح الشام**، ص ٢٨.

(٧٩) عبد الله بن عبد العزيز بن إدريس: **مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ**، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٢هـ، ص ٢٠٩ .

أغضب اليهود فقام كعب بن الأشرف بقطع أطناب القبة التي وضعها الرسول ﷺ للسوق ، فقام ﷺ بنقلها إلى مكان هو أغيظ لليهود وأقرب إلى طريق القوافل التجارية.

مكة المكرمة: لاشك أن مكة اشتهرت بأسواقها التي تستقطب التجار من داخل بلاد العرب وخارجها ، حيث ارتبطت بها أسواق مجنة وذي المجاز ومنى وارتبطت تجارة أسواقها بموسم الحج ، ولاشك أن علاقة أسواق مكة التجارية بخارج بلاد العرب قد زادت في عصر الراشدين عن ما كانت عليه قبل ذلك ، نظرًا لدخول الكثير من الأعاجم في الإسلام وقدومهم إلى مكة للحج والمجاورة وبالتالي فإن كثيرًا منهم كانوا يجلبون السلع المختلفة من البلدان التي قدموا منها خارج بلاد العرب ، ورغم شهرة مكة في مجال التجارة قبل الإسلام بسبب وجود رؤوس أموال كبيرة فيها وبسبب نشاط أهلها التجاري الخارجي ، إلا أنه بعد استقرار الدولة الإسلامية أواخر عهد النبي ﷺ وفي عصر خلفائه الراشدين ﵃ انتقل مركز الثقل التجاري العربي من مكة إلى المدينة ،[٨٠] بسبب انتقال كثير من تجار مكة للمدينة ، ولكون المدينة هي قاعدة الدولة الإسلامية فقد استقطبت المال والرجال ، وبالتالي كانت علاقتها التجارية بخارج البلاد العربية أكبر من علاقة مكة ، بالإضافة إلى أن الحجاج القادمين من الشام أو مصر أو العراق يمرون في

---

(٨٠) انظر: جواد علي ، **المفصل** ، ج٧ ، ص ٣٧٦.

طريقهم على المدينة مما جعل لها أهمية خاصة، وذلك بعد نمو المال بيد أهلها بسبب حركة الفتوح المختلفة.

هجر: وهي قصبة وقاعدة البحرين شرقي الجزيرة العربية بلد مشهور بالزراعة كانت تجلب منها قلال التمور والجزية في عهد النبي ﷺ،[٨١] وقد قال عنها عمر بن الخطاب رضي الله عنه عجبت لتاجر هجر وراكب البحر،[٨٢] وكأنه يقصد بذلك ما يقع فيه من مغامرة ومجازفة.

دُباء: قصبة عمان وسوق من أسواق العرب المشهورة، فتحها حذيفة بن اليمان في زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.[٨٣]

صحار: ويقدم هذا السوق تجار الهند والسند والصين، وهي واقعة تنظيمًا تحت سيطرة الجلندي ملك عمان.[٨٤]

عدن: مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن من أشهر مرافئ التجارة، يجتمع بها تجار الحبشة والهند وتجار العرب، وهي المدينة اليمنية الساحلية المشهورة حاليًا جنوب اليمن.[٨٥]

---

(٨١) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٥، ص ٣٩٣.

(٨٢) الزبيدي: محب الدين محمد مرتضى الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ط١، القاهرة، ١٣٩٦هـ، ج ٣، ص ٦١٢. جواد علي، **المفصل**، ج٧، ص ٣٧٤.

(٨٣) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج ٢، ص ٤٣٥.

(٨٤) جواد علي، **المفصل**، ج٧، ص ٣٧٦.

(٨٥) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٤، ص ٨٩. البلادي، عاتق غيث، **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، ط١، دار مكة للنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ، ص ٢٠١.

سوق حضرموت: حضرموت إقليم مشهور من أقاليم اليمن بالقرب من عدن وعمان ولأهلها شهرة واسعة في التجارة عبر العصور المختلفة، جاء وفد من أهلها إلى رسول الله ﷺ مسلمين.(٨٦)

صنعاء: قاعدة اليمن المشهورة عبر العصور، وقد كانت منطقة وصل بين تجار العرب وتجار الحبشة.(٨٧)

دومة الجندل: بلدة تقع في الأطراف الشمالية للجزيرة العربية وهي بلدة مقصودة من تجار العرب وفارس والشام،(٨٨) وقد استمرت سوقًا مزدهرة في العصر النبوي وعصر الراشدين وعدت خلال عصور لاحقة من أعمال المدينة.(٨٩)

المشقر: أحد مدن البحرين، وهي سوق يقصدها الأعراب من شرق الجزيرة ويردها تجار فارس وغيرهم من القادمين عن طريق البحر، كان لها نظام ضرائب حيث كانت قبيلة عبد القيس تعشر الناس.(٩٠)

---

(٨٦) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص ٢٧٠، عاتق غيث البلادي، **معجم الأماكن الواردة في السيرة**، ص ١٠٠.

(٨٧) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٣، ص ٤٢٦. البلادي، عاتق غيث، **معجم الأماكن الواردة في السيرة**، ص ١٧٨.

(٨٨) سعيد الأفغاني، **أسواق العرب في الجاهلية والإسلام**، ط ٣، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٤هـ، ص ٢٣٢.

(٨٩) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص ٤٨٧.

(٩٠) البكري، **معجم ما استعجم**، ج٢، ص ١٢٣٢. جواد علي، **المفصل**، ج ٧، ص ٣٧٣.

بدر: وهو نفس مكان الغزوة النبوية المشهورة، وقد نص الطبري على استمرار موسمه كل عام (وكان بدر موسمًا من مواسم العرب تجتمع له بها سوق كل عام)،[٩١] وتصل لهذا السوق بعض البضائع القادمة من الحبشة عن طريق ميناء الجار البحري القريب منها.[٩٢]

عكاظ: يقع بالقرب من الطائف وهو من أنشط أسواق العرب،[٩٣] وقد كانت شهرته الأدبية أكثر من شهرته التجارية،[٩٤] ومع ذلك فقد اشتهر بالنشاط التجاري حيث يلتقي فيه التجار من داخل بلاد العرب وخارجها،[٩٥] استمر نشاط السوق في العصر النبوي وعصر الراشدين بل وحتى الربع الأول من القرن الثاني الهجري.[٩٦]

المعاهدات التجارية:

لم تكن بين قبائل العرب في الجزيرة العربية وبين المناطق المجاورة في الشام والعراق ومصر والحبشة معاهدات مكتوبة واضحة قبل الإسلام وبعده يمكن أن تعتبر أساسًا للتبادل التجاري بينهم، وتشير بعض المصادر إلى

(٩١) الطبري، **تاريخه**، ج ٢، ص ٢٧٦.
(٩٢) جواد علي، **المفصل**، ج ٧، ص ٣٧٦.
(٩٣) ابن حبيب، **المحبر**، ص ٢٦٧.
(٩٤) سعيد الأفغاني، **أسواق العرب في الجاهلية والإسلام**، ص ٢٧٩.
(٩٥) ناصر الرشيد، **سوق عكاظ**، ص ٤٨.
(٩٦) جواد علي، **المفصل**، ج٧، ص ٣٨١.

وجود إذن خاص من قيصر الروم لتجار قريش للعمل في الشام وبينها وبين الحبشة تمكن من الحصول عليه هاشم جد النبي ﷺ .[٩٧]

وبطبيعة الحال فإن وجود قبائل عربية في الشام والعراق وامتدادها في بلاد العرب والعلاقات القائمة بينها جعل هناك نوع من التعارف والتعاون والتبادل التجاري المبني على الأعراف القبلية والمصالح المشتركة، كما أن القبائل التي تمر بها القوافل التجارية تكون على علم بهوية تلك القوافل وبالتالي فإنها تمنع الاعتداء عليها وإلا تعرضت للسرقة والنهب، ولاشك أن اعتقاد العرب في الأشهر الحرم كان له دور في تأمين التجارة وتنقلاتها في هذه الأشهر، مع عدم اعتراف قطاع الطرق وبعض القبائل بحرمة هذه الأشهر.[٩٨]

وقد كان بين قريش وبين بعض القبائل معاهدات معينة عرفت بالإيلاف وهي الواردة في سورة قريش (قريش). ولعل سبب أمن قوافل قريش خصوصًا، قدوم كثير من العرب إلى مكة في موسم الحج، وإكرام قريش لهم وحمايتهم، وبالتالي كانت تلك القبائل ترد بالمثيل، كما لا يستبعد وجود شركاء من هذه القبائل في تجارة قريش، وكانت قريش تمنع الاعتداء على أي من أفراد القبائل التي تمر بها تجارتها، ولذلك فقد ثبت أنه عندما

---

(٩٧) اليعقوبي، **تاريخه**، ج ١، ص ٢٤٢

(٩٨) جواد علي، **المفصل**، ج٧، ص ٣٧١.

اعتدت قريش على أبي ذر الغفاري ﷺ بالضرب قبل الهجرة حذرهم العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ وقال لهم: (ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار وأنه من طريق تجارتكم إلى الشام...).[٩٩]

فكفوا عنه مراعاة لما يمكن اعتباره معاهدة عرفية خاصة بتجارة قريش إلى بلاد الشام.

ويورد الطبري قصة وقعت بعد بيعة العقبة الثانية تبين أهمية العهود والإجارة للتجار الذين يمرون ببعض بلاد العرب فيقول: (طلب القوم فأدركوا سعد بن عبادة بالحاجر والمنذر بن عمرو أخا بني ساعدة بن كعب بن الخزرج وكلاهما كان نقيبا فأما المنذر فأعجز القوم وأما سعد فأخذوه وربطوا يديه إلى عنقه بنسع رحله ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجبذونه بجمته وكان ذا شعر كثير فقال سعد فوالله إني لفي أيديهم إذ طلع علي نفر من قريش فيهم رجل أبيض وضيء شعشاع حلو من الرجال قال قلت إن يكن عند أحد من القوم خير فعند هذا فلما دنا مني رفع يديه فلطمني لطمة شديدة قال قلت في نفسي والله ما عندهم بعد هذا خير قال فوالله إني لفي أيديهم يسحبونني إذ أوى إلي رجل منهم ممن معهم فقال ويحك أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد قال قلت بلى والله لقد

(٩٩) ابن عبد البر: أبو عمر يوسف عبد الله بن محمد (ت: ٤٦٣ هـ)، **الاستيعاب في أسماء الأصحاب**، حاشية على الإصابة، القاهرة، ١٣٢٨هـ ج٤، ص ٦٣. ابن حجر، **الإصابة**، ج٤، ص ٦٣. الصالحي الشامي، **سبل الهدى والرشاد**، ج ٢، ص ٤٢٣.

كنت أجير لجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف تجارة وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي وللحارث بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف قال ويحك فاهتف بإسم الرجلين واذكر ما بينك وبينهما قال ففعلت وخرج ذلك الرجل إليهما فوجدهما في المسجد عند الكعبة فقال لهما إن رجلا من الخزرج الآن يضرب بالأبطح وإنه ليهتف بكما ويذكر أن بينه وبينكما جوارا قالا ومن هو قال سعد بن عبادة قالا صدق والله إن كان ليجير تجارنا ويمنعهم أن يظلموا ببلده قال فجاءا فخلصا سعدا من أيديهم وانطلق).(١٠٠)

وقد كان لحلف الفضول في مكة الذي أشاد به رسول الله ﷺ (١٠١) أثر كبير في تأمين التجار في مكة وكان سببه نصرة لبعض تجار العرب الذين ظلموا من أشراف مكة، وإن كان السبب تجار من العرب قدموا من اليمن فحصل لهم ظلم من بعض زعماء مكة،(١٠٢) إلا أن النتيجة لهذا الحلف كانت حماية لمن يقدم بتجارة من خارج مكة سواء من بلاد العرب أو من خارجها.

---

(١٠٠) الطبري، **تاريخه**، ج١، ٥٦٤ – ٥٦٥. وانظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج: ٣، ص ١٦٥.

(١٠١) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١، ص ١٣٤. الحلبي: علي بن برهان الدين، (ت: ٩٧٥هـ) **السيرة الحلبية في السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون**، **أنساب العيون**، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ، ج١، ص ٢١٢. ابن كثير، **السيرة النبوية**، ج١، ص ٢٥٧. الصالحي الشامي، **سبل الهدى والرشاد**، ج٢، ص ٢٠٨.

(١٠٢) الأزرقي، **أخبار مكة**، ج ٥، ص١٩٠.

وقد سار هذا الأمر بشكل طبيعي في بداية الإسلام فثبت مشاركة بعض الصحابة في القوافل التجارية المتوجهة إلى الشام وغيرها.

ورغم الأحلاف المختلفة التي تؤمن التجارة إلا أن القوافل التجارية كانت غالبًا مصحوبة بحراسة عسكرية قوية عمادها الرجال والسلاح من أصحاب التجارة أو من يستأجرونهم أو يجيرونهم، ولذلك نجد جميع القوافل القرشية التي تعرض لها المسلمون إبان نزاعهم مع قريش كانت مصحوبة بحماية عسكرية قوية، وبعد استقرار الدولة الإسلامية في عصر الراشدين عم الأمن في بلاد العرب وساد العدل وأصبح قطاع الطرق والمعتدون على أموال الناس يتعرضون لأشد العقوبات، مما كان له تأثير قوي على نمو التجارة وأمنها وبالتالي لم تعد هناك حاجة لوجود حاميات عسكرية تصحب التجار وقوافلهم المختلفة.

ورغم الحرص على تأمين التجارة بين بلاد العرب وخارجها إلا أن التجار من الجهتين كانوا يتعرضون للعقوبة إن ظهر منهم ما يوجب ذلك، وقد كان ملوك العرب في الشام قبيل الإسلام يعاقبون تجار قريش عند ما يريدون ذلك ومن هذا ما ورد: (من أن سعيد بن العاص قد قدم الشام في تجارة فحبسه عمرو بن جفنة لأجل عثمان بن الحارث فقال سعيد في ذلك:

يا راكبي إما عرضت فبلغن ... قومي يزيدا عثمان أو عفان

أو أبلغ مغلغلة أسيدا فلأمدحن ... المادحين بمدحة تأتي شرودا

وكان حبس مع هشام بن سعيد بن عبد الله بن أبي قيس العامري فقال في ذلك :

قومي وقومك يا هشام اجمعوا تركي وتركك آخر الإعصار

في أبيات فاجتمع رأي بني عبد شمس على أن يفتدوا سعيد بن العاص فجمعوا مالًا كثيرًا فافتدوه به ومات هشام في الحبس).(١٠٣)

ولاشك أن نشاط المسلمين التجاري خارج بلاد العرب في زمن النبي ﷺ كان محدودًا ويجري بشكل فردي وشخصي لأسباب عسكرية وسياسية، وبالتالي فإن هذه الأحلاف والأعراف كانت تسري عليهم مثل غيرهم من التجار الآخرين.

وأما في عصر الخلفاء الراشدين فقد ظهرت بعض الأنظمة الخاصة التي لاشك أنها أثرت بطريقة مباشرة على التجارة، حيث نظمت الأسواق وعرف نظام العشور في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وقد سبق ظهور هذا النظام في الدولة الإسلامية معرفة تامة بالنظم السابقة بين الأمم، حيث ذكر القاسم بن سلام (أنه كان له أصل في الجاهلية يفعله ملوك العرب والعجم جميعًا (١٠٤) فكانت سنتهم أن يأخذوا من التجار عشر أموالهم إذا مروا عليهم).(١٠٥)

---

(١٠٣) ابن حجر، **الإصابة**، ج ٣، ص ٢٨٩.
(١٠٤) ابن سلام، **الأموال**، ص ٦٣٨ ـ ٦٣٩.
(١٠٥) ابن سلم، **الأموال**، ص ٦٣٦.

وقد كان التجار في معظم الأسواق العربية المشهورة يتعرضون للضرائب والمكوس، وخصوصًا الأسواق التي تستقطب التجارة من خارج بلاد العرب، وقد عرف ممن كان يأخذ الضرائب من الناس ممن عاصر النبي ﷺ الجلندي في سوق صحار ودبا في عمان،(١٠٦) والمنذر بن ساوي العبدي في سوق هجر بالبحرين(١٠٧) قبل إسلامهم، كما كان الأبناء وهم حكام اليمن من الفرس يعشرون الناس في سوق عدن في مطلع الإسلام.(١٠٨) وكان أكيدر دومة الجندل يعشر الناس في سوق دومة.(١٠٩)

وقد كان التعشير للتجار يعني بطريقة أو أخرى تأمين الناس في هذه الأسواق.(١١٠)

وقد أحس رسول الله ﷺ بما يتعرض له التجار من مكس وضرائب فكرهه وحذر منه في أحاديث مختلفة، كما كتب في ذلك كتبًا مختلفة للقبائل والأقاليم يحذرهم فيها من تعشير الناس بدون حق وأخذ نسب من أموالهم بالباطل وكان في بعض كتبه ﷺ يشترط عليهم (أنهم لا يحشرون ولا

(١٠٦) ابن حبيب، **المحبر**، ص ٢٦٥.

(١٠٧) القلقشندي: أبو العباس أحمد (ت: ٨٢١ هـ)، **صبح الأعشي في صناعة الإنشاء**، المطبعة الأميرية، القاهرة (د.ت)، صبح الأعشى، ١، ص ٤١١. **جواد علي، المفصل**، ج٧، ص ٣٧٤.

(١٠٨) اليعقوبي، **تاريخه**، ج١، ص ٢٣٦.

(١٠٩) اليعقوبي، **تاريخه**، ج١، ص ٢٢٦. جواد علي، **المفصل**، ج٧، ص ٣٧١.

(١١٠) جواد علي، **المفصل**، ج ٧، ص ٣٦٩.

يعشرون).[١١١] ولعل ممن وجهت لهم رسائل الرسول ﷺ ملوك البحرين وعمان وأمراء اليمن وهم ممن أسلم وقبل وجود ممثلين وعمال للرسول ﷺ في مناطقهم.

ولاشك أن التجار القادمين لهذه البلدان التي كتب لها رسول الله ﷺ كان فيهم من قدم من خارج الجزيرة العربية فأبطل ذلك رسول الله ﷺ وأمن التجار، واستبدل بذلك الزكاة الشرعية على المسلمين والجزية على غيرهم.

وقد نهى الرسول ﷺ عن تلقي الركبان،[١١٢] ويسري ذلك على القادمين بسلع إلى الأسواق سواء من داخل بلاد العرب أو خارجها لما قد يقع فيه أولئك التجار من غرر أو لما يقع من احتكار وكان الهدف من هذا الإجراء أن تأخذ سلع التجار القادمين حقها من التقييم والثمن بحيث لا يظلمون، وفي الوقت نفسه لا يجري ضرر على المستهلكين في هذه الأسواق ولا شك أن هذا التنظيم يسري على جميع التجار بما فيهم القادمون من خارج بلاد العرب.

وفي عهد عمر كان التجار من البلاد المحاربة للمسلمين في فارس والروم

---

(١١١) القاسم بن سلام، **الأموال**، ص ٦٣٦.

(١١٢) انظر: **صحيح البخاري**، باب النهي عن تلقي الركبان، ج٢، ص ٢٨. جواد علي، **المفصل**، ج٧، ص ٤٠٠.

يصلون إلى بلاد المسلمين وهم أهل حرب لا أهل عهد فقرر المسلمون السماح لهم بالتجارة مع معاملتهم بمثل ما يعاملون به المسلمون القادمون للتجارة في بلدانهم وذلك بأن يؤخذ منهم العشر من أموالهم مرة واحدة على المال مثيل ما كانوا يأخذون من تجار المسلمين، وقد ناقش العلماء في عهد الراشدين وما بعده ورأوا أن الأمر غير مخالف للنصوص الصريحة الواردة من رسول الله ﷺ وأن هذا معاملة بالمثل.

فقد ورد عن عبد الرحمن بن معقل قال: (سألت زياد بن حدير من كنتم تعشرون؟ قال: ما كنا نعشر مسلمًا ولا معاهدًا قلت فمن كنتم تعشرون قال. تجار الحرب، كما كانوا يعشروننا إذا أتيناهم).(١١٣) ويبدو أن المسلمين في عصر عمر كانوا يشترطون نصابًا معينًا من المال والبضائع لمن يؤخذ منه العشر، فقد كان أصحاب الأموال القليلة لا يدخلون في هذا النوع من الضرائب وإنما هي على التجار أصحاب رؤوس الأموال ذات القدر المعين،(١١٤) وقد كان دافعوا العشر يحصلون على صكوك معينة(١١٥) بذلك حتى لا تتكرر الجباية عليهم.(١١٦)

وقد حرصت بعض نصوص المعاهدات في عصر الراشدين على التأكيد على حرية التجارة وضمن ذلك جزء من معاهدة عمرو بن العاص مع

---

(١١٣) القاسم بن سلام، **الأموال**، ص ٦٣٥.

(١١٤) انظر: ابن سلام، **الأموال**، ص٦٤٣.

(١١٥) الطبري، **تاريخه** ج٢، ص ٥١٥.

(١١٦) القاسم بن سلام، **الأموال**، ص ٦٤٧.

بعض المصريين حيث جاء فيها (وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأسا وكذا وكذا فرسا على ألا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة).[١١٧]

وكان ضمن مفاوضات المسلمين مع الفرس قبيل القادسية ما جرى على يد رستم حيث حاول إغراء المسلمين بفتح بلاده للتجارة أمام المسلمين حيث (بعث رستم إلى سعد أن يبعث إليه برجل عاقل عالم بما اسأله عنه فبعث إليه المغيرة بن شعبة ﷺ فلما قدم عليه جعل رستم يقول له إنكم جيراننا وكنا نحسن إليكم ونكف الأذى عنكم فارجعوا إلى بلادكم ولا نمنع تجارتكم من الدخول إلى بلادنا فقال له المغيرة أنا ليس طلبنا الدنيا وإنما همنا وطلبنا الآخرة).[١١٨]

حجم التجارة:

من الصعب على الباحث تقدير حجم التجارة بين بلاد العرب والمناطق الأخرى عمومًا، ويمكن من خلال بعض الشواهد إعطاء بعض التصور عن حجم التجارة الخارجية لمناطق بعينها، وعلى سبيل المثال توجد لدينا شواهد مختلفة عن حجم القوافل بين مكة والشام، وعن عددها وتقديرها

---

(١١٧) الطبري، **تاريخه**، ج٢، ص ٥١٥. ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ٧، ص ٩٨. ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت: ٨٧٤ هـ)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، وزارة الثقافة القاهرة، (د.ت)، ج ١ ص ٢٥.

(١١٨) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ٧، ص ٣٩.

في بعض السنوات، وخصوصًا في مرحلة جهاد رسول الله ﷺ لقريش ومحاولاته المتكررة لحربها اقتصاديا وقطع طرق التجارة عليها، مما يعطينا معلومات مهمة عن حجم تلك التجارة.

ففي غزوة بدر ذكر أن القافلة التي حاول رسول الله ﷺ التعرض لها كان فيها عير عظيمة لقريش وقد قدرت بألف راحلة،[١١٩] والمال الذي معها بخمسين ألف دينار.[١٢٠]

وقد غنم المسلمون من سرية بعثها الرسول ﷺ بقيادة زيد بن حارثة، قرابة مائة ألف درهم من الفضة.[١٢١]

وحينما اختار أبو بصير موقع العيص[١٢٢] وكمن فيه فترة من الوقف مع بعض المسلمين معه أنزل ضربة قوية ومؤثرة على قوافل قريش مما أغاضها ودفع قريش للكتابة لرسول الله ﷺ تسترحمه وتطلب منه سحبهم من موقعهم في وقت هم في عداء مع الرسول ﷺ،[١٢٣] مما يعطينا انطباعًا هامًا عن حجم تجارة قريش المتضررة من هذه الكمائن.

---

(١١٩) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٢، ص ٦٠٦.

(١٢٠) النويري، **نهاية الأرب**، ج١٧، ص ٨١.

(١٢١) الطبري، **تاريخه**، ج٢، ص ٤٩٢.

(١٢٢) مكان كثيف الأشجار على طريق مكة البحري إلى الشام، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج ٤، ص ١٧٣.

(١٢٣) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج ٣، ص ٣٢٤. الطبري، **تاريخه**، ج٣، ص ٨١. المقريزي، أحمد بن على (ت: ٨٤٥ هـ)، **إمتاع الأسماع بالرسول ﷺ من الأولاد والحفدة والمتاع**، القاهرة، ص ٣٠٥.

وفي عصر الراشدين نمى حجم التجارة داخليًا وخارجيًا، وقد كان عبد الرحمن بن عوف في زمن عمر بن الخطاب ﷺ من أكثر الصحابة مالاً وتجارة،[١٢٤] والمطلع على ثروته يدرك مقدار النمو المالي والتجاري الذي حصل عنده وعند غيره من أثرياء المسلمين، ولا شك أن لذلك تأثير على حجم التبادل التجاري بين المدينة والمناطق الأخرى ومنها ما هو خارج بلاد العرب حيث كانت تصل تجارة عبد الرحمن بن عوف إلى العراق ومصر والشام، في وقت كان يقيم فيه بالمدينة المنورة، ولكثرة تجارته وأمواله فقد تصدق مرة بأربعين ألف دينار.[١٢٥]

السلع المتبادلة:

لقد كانت العرب قبل الإسلام تتبادل سلعًا مختلفة ليس فيها ما يحظر من التجارة دينًا ولا عادة، فلما جاء الإسلام ومد سلطانه في أواخر عصر الرسول ﷺ أصبحت هناك سلع مباحة وسلع محرمة، فقد حرم الاتجار بالخمر والأصنام مثلًا وبالتالي توقف استيرادها من خارج بلاد العرب وتصنيعها داخلها،[١٢٦] حتى أن من كان بحوزته أصنام من فضة أو معادن كان يكسرها ويستعملها كمعدن مباشرة غير ممثل.[١٢٧]

---

(١٢٤) **صحيح البخاري**، ج٣، ص ٣. ابن حجر، **الإصابة**، ج٢، ص ٤١٦. ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٢، ص ٣٨٥. الصالحي الشامي، **سبل الهدى والرشاد**، ج٣، ص ٥٣٠.

(١٢٥) ابن حجر، **الإصابة**، ج٢٤١٦

(١٢٦) جواد علي، **المفصل**، ج٧، ص٥٤٠.

(١٢٧) القاسم بن سلام، **الأموال**، ص ١٣٦.

الصادرات:

وقد كانت بلاد العرب الجنوبية على علاقة تجارية بالهند وبعض الجزر البحرية في المحيط الهندي والتي تنتج بعض السلع الهامة في التجارة العالمية آنذاك كالبهارات واللبان كما تعد معبرًا من معابر الهند، وبالتالي فإنه يعاد تصدير تلك السلع من اليمن عن طريق البحر الأحمر إلى السواحل الشمالية منه والأقرب لبلاد الشام، وبالتالي فإنه من غير المستبعد أن عددًا من التجار العرب في اليمن وغيرها كان يلعب دور الوسيط في الاستيراد وإعادة التصدير مرة أخرى لكثير من السلع القادمة من الشرق والمتوجهة إلى الشام أو مصر ومن ثم إلى أسواق أخرى، بل إن بعض المصادر تتحدث عن المنافسة الفارسية الحبشية قبيل الإسلام وتضع من أسبابها الحرص على السيطرة على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر لأهميته التجارية في تنقل البضائع بحرًا بين الشرق والشمال.(١٢٨)

وتأتي الجلود وما يرتبط بها من منتجات الأديم وغيرها من أهم ما يصدر من بلاد العرب إلى البلدان المجاورة، وقد اشتهرت الطائف بتصدير الجلود الممتازة،(١٢٩) إلا أن هذا النوع من السلع يجد قيمة خاصة في بعض الأسواق وخصوصًا في الحبشة، وتقل قيمته بل ولا يستحق التصدير إلى بعض

---

(١٢٨) هايد: ف. **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى**، ص ٢٢.

(١٢٩) جواد علي، **المفصل**، ج ٧، ص ٣١٥.

الأماكن الأخرى كالشام والعراق وفارس[١٣٠] ربما لوجود صناعات جلدية أفضل لدى أهل تلك البلاد.

كما يعد الصمغ والمر والطيب بأنواعه المختلفة ومنه الذرور المركب محليًا في مكة واليمن مما يتم تصديره من بلاد العرب إلى الخارج.

وتعد بعض المعادن الثمينة من ما يصدر من الحجاز إلى الشام، حيث وجدت بعض مناجمه في أرض بني سليم وغيرها.[١٣١]

كما أن من ما يستورد لبلاد العرب من الخارج الرقيق[١٣٢] الذي يأتي من مختلف المناطق حيث كانت له سوق رائجة في جميع الأسواق العربية وغيرها.

الواردات:

كانت الواردات تصل إلى المدينة وهي قاعدة الدولة الإسلامية في عصر الراشدين وقد ثبت بنصوص مختلفة أن النبط[١٣٣] كانوا يتاجرون في المدينة

(١٣٠) الطبري، **تاريخه**، ج٣، ص ١٠٣. الصالحي الشامي، **سبل الهدى والرشاد**، ج ٢، ص٨٧. العُمري: د. عبد العزيز إبراهيم، **الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ** الطبعة الثالثة، الرياض، ١٤٢٠هـ، ص٤٤.

(١٣١) جواد علي، **المفصل**، ج ٧، ص

(١٣٢) جواد علي، **المفصل**، ج ٧، ص ٣٧٦.

(١٣٣) النبط قوم من العرب سكنوا جنوب فلسطين ومنطقة الأردن اشتهروا بالتجارة والزراعة في تلك المناطق لهم لغة خاصة وكتابة خاصة.

زمن عمر بن الخطاب ﷺ ويقدمون بالسلع من مصر والشام وبلاد الفرات.[١٣٤]

لاشك أن السلع المستوردة من خارج الجزيرة العربية تعد سلعًا مميزة تستحق عناء النقل والمخاطر المصاحبة لها، ويأتي على رأس تلك السلع الأسلحة المختلفة كالسيوف والدروع التي كانت تستورد من الشام والعراق والهند والحبشة وغيرها.

وتعد الأطعمة من أهم الواردات إلى بلاد العرب ويأتي على رأس ذلك الزيت الذي كان يستورد في الغالب من بلاد الشام حيث يجلبه النبط إلى سوق المدينة وغيرها، كما أنهم يجلبون أنواعًا فاخرة من الدقيق.[١٣٥] ويعد الزيت مما يجلب لبلاد العرب من الشام وغيرها.[١٣٦]

كما كانت الأقمشة المختلفة من أهم ما يستورد إلى بلاد العرب[١٣٧] ويسمون العمل فيها تجارة البز،[١٣٨] وكان عدد من أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون في البز في زمن النبي ﷺ وفي زمن الراشدين، ومنهم أبو بكر

(١٣٤) القاسم بن سلام، **الأموال**، ص ٦٤١.

(١٣٥) انظر: جواد علي، **المفصل**، ج ٧، ص ٣١٣.

(١٣٦) انظر: القاسم بن سلام، **الأموال**، ص ٦٠٦.

(١٣٧) الدارمي: أبو محمد عبد الله بن عبدالرحمن، **سنن الدارمي**، دار إحياء السنة، د.ت.، ج٢، ص ٢٦٠.

(١٣٨) القاسم بن سلام، **الأموال**، ص ٥٢١.

الصديق ﷺ وقد وضع البخاري في صحيحه بابًا سماه (باب التجارة في البز وغيره)، [١٣٩] كما أن عمر كان من تجار البز وله شريك آخر من أهل العراق له خبرة في التجارة في مصر ولعله كان يجمع تجارته من مصر والعراق والحجاز قال عنه ابن حجر: (كان أحد وفد أهل الحيرة إلى رسول الله ولم يسلم واسلم زمن أبي بكر وكان شريك عمر في الجاهلية في تجارة البز وقدم الإسكندرية سنة خمس عشرة رسولا من عمر إلى المقوقس).[١٤٠]

كما كانت تستورد تبعًا لذلك الإبر والخيوط والحبال، وغيرها مما يرتبط بأعمال الخياطة، [١٤١] ولا يمنع هذا الاستيراد وجود بعض الإنتاج المحلي منها.

كما كانت المجوهرات والأعمال المصاغة المختلفة مما يجلبه التجار لبلاد العرب من الأماكن المختلفة.[١٤٢]

كما تعد الأواني المنزلية من السلع الهامة المستوردة من الخارج لبلاد العرب.[١٤٣]

---

(١٣٩) **صحيح البخاري**، (فتح الباري)، ج ٩، ص ١٤٣.
(١٤٠) ابن حجر، **الإصابة**، ج ٥، ص ٦٠٣.
(١٤١) انظر: القاسم بن سلام، **الأموال**، ص٥٢٥.
(١٤٢) انظر: القاسم بن سلام، **الأموال**، ص ٥٢٣.
(١٤٣) جواد علي: **المفصل**، ج ٧، ٤٨٩.

وقد كان العنبر البحري وبعض الجواهر مما ينتج من البحر في زمن النبي ﷺ (١٤٤) ولعل بعض منها كان يصدر إلى خارج بلاد العرب.

النقود المستعملة للتجارة الخارجية:

لاشك أن عملية ضرب النقود تحتاج إلى دول قوية ومنظمة، وكانت بلاد العرب قبيل الإسلام تفتقد إلى وجود دولة ونظام يتبنى هذا الأمر، وبالتالي فقد كان العرب عند البعثة يتعاملون بالنقود المستعملة في الدول المجاورة وخصوصًا في البيع والشراء مع التجار من خارج الجزيرة العربية، وقد استمر الأمر على ما هو علية في طيلة العصر النبوي، ومطلع عصر الراشدين، وقد كان الدينار البيزنطي على رأس العملات المتداولة في تلك الفترة، وهو مضروب من الذهب وعليه صورة الإمبراطور البيزنطي الذي ضرب في عهده.(١٤٥)

وقد ذكرت بعض الروايات أن هرقل أهدى بعضًا من هذه الدنانير لرسول الله ﷺ أثناء غزوة تبوك.(١٤٦)

---

(١٤٤) انظر: **الأموال**، ص ٤٣٥.

(١٤٥) لمزيد من التفصيل انظر: سمير شما، **النقود المتداولة في عصر الرسول ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين**، بحث مقدم إلى الندوة العالمية الثالثة لدراسة تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الرياض، ١٤٠٢هـ.

(١٤٦) القاسم بن سلام، **الأموال**، ص ٣٣٥.

وقد أقر الرسول ﷺ استعمال هذه الدنانير في الجزية وغيرها.(١٤٧)

كما كان الدرهم وهو من الفضة يستعمل عند العرب قبل الإسلام وبعده واستمر استعماله في عصر الرسول ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين، وكان الدرهم الفارسي المضروب في الدولة الساسانية هو السائد للتعامل في الفضة وهو قطعة من الفضة على أحد وجهيها نقش يمثل الملك الساساني المضروبة في عهدة،(١٤٨) وقد كانت تسمى بعد ذلك عند المسلمين، (الطبرية) العتق أي دراهم طبرستان العتيقة،(١٤٩) وكانت الدنانير والدراهم تتعرض للنقص واقتطاع أجزاء منها، ولذلك فقد ساد بين الناس التعامل بها وزنًا لا عدًا نظرًا لاختلاف أوزانها.(١٥٠)

ومن خلال العديد من النصوص تبين وجود أناس متخصصين في الصرافة وتبديل النقود في العصر النبوي وعصر الخلافة الراشدة، اتخذوها مهنة جارية لهم،(١٥١) ولعل هذا الأمر يدل على أهمية العلاقات التجارية

---

(١٤٧) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص٤٥٢. ابن سلام، **الأموال**، ص٣٥. أبو يعلى: محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (ت: ٤٥٨هـ)، **الأحكام السلطانية**، محمد حامد الفقي ط ٣، دار الفكر بيروت ١٣٩٤ هـ ص٦٢٩.

(١٤٨) أبو يعلى، الأحكام السلطانية، ص ١٧٥. سمير شما، **النقود المتداولة في عصر الرسول ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين**، بحث مقدم إلى الندوة العالمية الثالثة لدراسة تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الرياض، ١٤٠٢هـ.

(١٤٩) القاسم بن سلام، **الأموال**، ص ٦٢٩.

(١٥٠) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٤٥٢، ٤٥٢.

(١٥١) العُمري: عبد العزيز بن إبراهيم، **الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ**، ص ١٥٦.

الداخلية والخارجية وحاجة الناس إلى العملات المناسبة للتعامل مع المناطق المختلفة.

ولاشك أن بعض المداولات التجارية كانت تجري بالمقايضة أي استبدال سلع بسلع أخرى دون الحاجة إلى استعمال النقود، وهذه الطريقة مستعملة في جميع العصور التاريخية دون استثناء حتى في العصر الحاضر.

الخاتمة

من خلال البحث اتضح أن بلاد العرب على وجه الخصوص قامت لها علاقات تجارية قوية مع المناطق المجاورة في العصر النبوي وعهد الراشدين وخصوصًا المناطق الأقرب إلى طرق التجارة العالمية، والمناطق ذات النشاط السكاني القوي في مجال التجارة مثل اليمن وسواحل الخليج بالإضافة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، وقد اكتسبت المدينة المنورة مكانة عظيمة في تلك التجارة تدريجيًا بعد الهجرة النبوية، وتأصلت تلك المكانة وزادت في فترة الفتوح والاستقرار الإسلامي في عصر الراشدين في الأقاليم المجاورة للجزيرة العربية، وقد كان للتشريعات الإسلامية دورها الإيجابي في الأمن العام في مختلف الأقاليم التي حكمها الإسلام وبالتالي في نمو التجارة وازدهارها وتبادلها بين المناطق المختلفة، ومنها بلاد العرب مع غيرها من الأماكن، وإن تفاوتت تلك العلاقات التجارية قوة وضعفًا مع تلك المناطق حسب انتشار الإسلام فيها وقوة علاقتها سكانيًا واجتماعيًا مع بلاد العرب.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

أولًا: المصادر:

ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد عبدالكريم بن عبد الواحد الشيباني (٦٣٠هـ - ١٢٣٨م).

-**الكامل في التاريخ**، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٨٥هـ.

الأزرقي: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت: ٢٥٠هـ).

-**أخبار مكة**، ط٣، تحقيق رشدي ملحس، دار الثقافة، بيروت، ١٣٣٩هـ.

الأصبهاني: أبو نعيم أحمد عبد الله (ت: ٤٣٠هـ).

-**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، بيروت.

-**دلائل النبوة**، ١٣٩٧هـ _ ١٩٧٧م، بدون مكان الطبع.

البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (١٩٤-٢٥٦هـ).

-**صحيح البخاري**، دار إشبيلياء، الرياض، ١٤١٨هـ.

البكري: عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت: ٤٨٧هـ).

-**معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت(د.ت.)

البلاذري: أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت: ٢٧١هـ).

- **فتوح البلدان**، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ١٣٩٨هـ.

- **أنساب الأشراف**، ج١، تحقيق محمد حميد الله، معهد المخطوطات العربي ودار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م.

ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت: ٨٧٤هـ)

- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، (د.ت.)

ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن على (ت: ٥٩٧هـ).

- صفوة الصفوة، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٨٩٩هـ.

ابن حبيب: أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت: ٢٤٥هـ).

- **كتاب المحبّر**، تحقيق د. ايلزه ليختن شتيتز، دار الآفاق، بيروت، (ب. ت).

ابن حجر: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ).

- **الإصابة في تمييز الصحابة**، ط١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٨هـ.

الحلبي: على بن برهان الدين (ت: ٩٧٥هـ).

- **السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون، أنساب العيون**، دار المعرفة، بيروت١٤٠٠هـ.

ابن حنبل: الإمام أبي عبدالله أحمد بن محمد (ت: ٢٤١هـ).

- **المسند**، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٩٨هـ.

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد، (ت: ٨٠٨هـ).

- **المقدمة**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩١هـ.

خليفة بن خياط: بن أبي هبيرة الليثي العصفري (١٦٠-٢٤٠هـ).

- **التاريخ**، تحقيق أكرم ضياء العُمري، ط٢، دار القلم ومؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٧هـ.

الدارمي: أبو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن.

- **سنن الدارمي**، دار إحياء السنة (د.ت).

الذهبي: الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٨٤٧هـ).

- **سير أعلام النبلاء**، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ١٤٠٥هـ.

الزبيدي: محب الدين محمد مرتضى الحسيني (١١٤٥هـ - ١٢٠٥هـ).

- **تاج العروس من جواهر القاموس**، ط١، القاهرة، ١٣٩٦هـ.

ابن سعد: محمد بن منيع الهاشمي، مولاهم ـ كاتب الواقدي ـ (ت: ٢٣٠هـ).

- **الطبقات الكبرى**، دار صادر، بيروت (ب.ت).

ابن سلام: أبو عبيد القاسم (٢٢٤هـ)

- **كتاب الأموال**، تحقيق محمد خليل هراس، ط١، بيوت، ١٣٩٦هـ.

السهيلي: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله.

- **الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية**، لابن هشام، تعليق طه عبدالرؤوف سعد، دار المعرفة ـ بيروت، ١٣٩٨هـ.

ابن شبة: أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري (ت: ٢٦٤هـ).

- **تاريخ المدينة**، ط١، تحقيق محمود شلتوت، نشر السيد حبيب، المدينة المنورة، ١٣٩٣هـ.

الصالحي الشامي: محمد بن يوسف (ت: ٩٤٢هـ).

- **سبل الهدى والرشاد في هدي خير العباد**، ج١، تحقيق مصطفى عبدالواحد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٤هـ.

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ).

- **تاريخ الأمم والملوك**، دار الفكر، بيروت (ب.ت).

- **جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبري)**، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ١٤١٢هـ.

- **مشاهير علماء الأمصار**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ.

ابن عبد البر: أبو عمر يوسف عبد الله بن محمد (ت: ٤٦٣هـ)

- **الاستيعاب في أسماء الأصحاب**، حاشية على الإصابة، القاهرة ١٣٢٨ هـ.

ابن عبد الحكم: أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله (ت: ٢٥٧هـ)

- **فتوح مصر وأخبارها**، لايدن، ١٩٢٠م.

ابن العبري: غريغوس الملطي(ت: ١٢٨٦م)

- **مختصر الدول**، ط٣، دار المشرق، بيروت ١٩٩٢م.

الفراء: أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (ت: ٤٥٨هـ)

الأحكام السلطانية، محمد حامد الفقي، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٤هـ.

ابن فهد: النجم عمر بن فهد بن محمد بن محمد بن محمد فهد (٨١٢ـ ٨٨٥هـ).

- **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، تحقيق فهيم شلتوت، مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ.

القلقشندى: أبو العباس احمد (ت: ٨٢١هـ)

- **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، المطبعة الأميرية، القاهرة، (د.ت).

ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت: ٧٧٤هـ).

- **البداية والنهاية**، ط٣، مكتبة المعارف بيروت ١٩٧٨م.

الكلاعي الأندلسي: أبو الربيع سليمان بن موسى (ت: ٦٣٤هـ).

- **حروب الردة** (وهو الجزء الخاص بحروب الردة من مخطط الأكتفاني مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء)، تحقيق د.أحمد غنيم، ط١، دار الاتحاد العربي، القاهرة، ١٣٩٩هـ _ ١٩٧٩م.

ابن ماجه: الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧_٢٧٥هـ).

- **سنن ابن ماجه**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة ١٣٧٣هـ.

المحب الطبري: أبو جعفر احمد بن عبد الله (ت: ٦٩٤هـ).

- **الرياض النضرة في مناقب العشرة**، ط٢، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٧٢هـ.

المقدسي: مطهر بن طاهر (٥٠٧هـ)

- **البدء والتاريخ**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت).

المقريزي: أحمد بن على (ت: ٨٤٥هـ)

- **إمتاع الأسماع بما للرسول ﷺ من الأولاد والحفدة والمتاع**، القاهرة.

ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي (ت٧١١هـ).

- **لسان العرب**، دار صادر، بيروت د. ت.

النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (٦٧٧-٧٣٣هـ).

- **نهاية الأرب في فنون الأدب**، دار الكتب الوطنية، القاهرة (ب.ت).

ابن هشام: أبو محمد عبد الملك المعافري (ت٢١٣هـ).

- **السيرة النبوية**، تعليق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة شقرون، القاهرة (د.ت).

الواقدي: محمد بن عمر بن واقد (ت: ٢٠٧هـ)

-**المغازي**، تحقيق د. مارسون جونس، عالم الكتب، بيروت (د.ت)

ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله (ت٦٢٦هـ).

-**معجم البلدان**، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان (د.ت).

اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت٢٨٢هـ).

-**تاريخ اليعقوبي**، دار صادر بيروت، ١٣٧٩هـ.

ثانيًا: المراجع:

ابن إدريس: عبد الله عبد العزيز.

-**مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ**، جامعة الملك سعود، الرياض١٤٠٢هـ.

الأفغاني: سعيد

-**أسواق العرب في الجاهلية والإسلام**، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٤هـ.

البلادي: عاتق غيث.

-**معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، ط١، دار مكة للنشر والتوزيع ١٤٠٢هـ.

دروزة: محمد عزة

-**عصر النبي**، ط٢، دار اليقظة، بيروت، ١٣٨٤هـ.

الرشيد: د. ناصر بن سعد

-**سوق عكاظ في الجاهلية والإسلام تاريخه ونشأته وموقعه**، ط١، دار الأنصار، القاهرة، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

شما: سمير

-**النقود المتداولة في عصر الرسول ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين**، بحث مقدم إلى الندوة العالمية الثالثة لدراسة تاريخ الجزيرة العربية، جامعةالرياض١٤٠٢٢، هـ.

علي: جواد

-**المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨.

العُمري: عبد العزيز بن إبراهيم العُمري

-**الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ**، ط٣، الرياض، ١٤٢٠هـ.

ماهر: سعاد

-**البحرية في مصر الإسلامية وأثارها الباقية**، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

هايد: ف.

-**تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطي**، ترجمة أحمد محمد رضا، مراجعة عز الدين فودة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م.

الهلابي: عبد العزيز

-**حقيقة رحلة قريش إلى الشام**، مجلة الدارة، السنة ٢٢، العدد الرابع، ١٤١٧هـ.

-**السيرة النبوية** تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة الهلال، بيروت، بدون تاريخ.

البحث الثالث

أثر أمهات المؤمنين في المجتمع المدني: عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه نموذجا

مقـدمة:

الحمـد لله رب العـالمين، والصـلاة والسـلام علـى أشـرف المرسـلين سـيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين وزوجاته أمهات المؤمنين وبعد.

تعـد أمهـات المـؤمنين رمـزًا للقـدوة، وريحًـا مـن فـيح محمـد ﷺ وعطـرًا للمجتمعات ومدرسة للرجال والنساء، وقد تحدثت كتب السير والتراجم عن حياتهن في عصـر النبوة وعـن قصـص إسلامهن وزواجهـن وأحـوالهن المختلفة ذات العلاقة برسول الله ﷺ، ومـن المعلـوم أنـه عنـد وفـاة الرسـول ﷺ كان يعيش من هؤلاء الأمهات تسع نسـاء، وقـد تـوفي بعضـهن في زمـن الخلافة الراشدة، وفي عصر بني أمية وخصوصًا في زمن الخليفـة معاويـة بـن أبي سفيان ﷺ عاشت سبع من أمهات المؤمنين، فمنهن من عـاش خمـس سنوات من خلافة معاوية، ومنهن من عاش طيلة خلافتـه، ومـن المعـروف أن الخلافة انتقلت في أيامه من المدينة إلى الشـام، وتغـيرت حـال المدينة تبعًـا لذلك، إلا أن أمهات المؤمنين استمر بقـاؤهن في المدينـة وعشـن في مجتمعهـا الطيب وكانت لهن حياتهن الخاصة، ودورهن الاجتمـاعي المميـز، والمتتبـع للمصادر المختصة يجد نتفًا من أخبارهن متفرقة هنا وهناك، وإن كان حجم تلك الأخبار أقل بكثير من أخبارهن في حياة النبي ﷺ، ومع ذلك فإن هذه الأخبـار يمكـن مـن خلالهـا متابعـة حيـاتهن الخاصـة في المدينـة ودورهـن الاجتماعي فيها خلال عصر معاوية بن أبي سفيان ﷺ.

لقد كانت الزعامة الاجتماعية في المدينة والقيادة الأدبية لأمهات المؤمنين (رضي الله عنهن)، كان دورهن مشهورًا وجهدهن مشكورًا، كن محل أنظار وعناية المجتمع بكافة طبقاته، شاركن الناس في أفراحهم وأحزانهم، وجهنهم لأمور دينهم ودنياهم، ساعدن المحتاج، ووجهن إلى الخير كل من هو بحاجة سواء كان صغيرًا أو كبيرًا غنيًا أو فقيرًا، لقد شاركت أمهات المؤمنين في تقوية العلاقات الاجتماعية، وفي العمل الخيري، وفي المناسبات الاجتماعية فكن بحق زعيمات مجتمع المدينة في عصر معاوية بن أبي سفيان ﷺ وهذا هو محتوى البحث الذي تنوعت مصادره التاريخية وتناثرت مادته في كتب التراجم والسنن والآثار والتاريخ والبلدانيات، اسأل الله أن ينفع به، وأن يعين على تطويره فعليه وحده التكلان.

أمهات المؤمنين:

لقد كان من سنن الله في البشر الزواج والذرية، وكان أنبياء الله عليهم السلام يتزوجون وينجبون الذرية ويحيون الحياة الزوجية والاجتماعية كغيرهم من الناس، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى ذلك في كتابه العزيز، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ (٣٨)[الرعد]

وقد سار رسول الله ﷺ على سنة الأنبياء قبله فأحل الله له الزواج كسائر الأنبياء الآخرين، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ

عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٥٠)[الأحزاب].

ويطلق لفظ أمهات المؤمنين ويقصد به زوجات النبي ﷺ اللاتي دخل بهن،[١] وقد كان لهن شرف خاص ميزهن به الله سبحانه وتعالى عن سائر النساء يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ (٣٢) [الأحزاب].

وقد سماهن الله سبحانه وتعالى في كتابه أمهات المؤمنين يقول تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (٦)[الأحزاب].

ويقال لهن أمهات المؤمنين بالنسبة للرجال دون النساء،[٢] ولذلك فقد روي عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) أنها ردت على امرأة نادتها بـ يا أُمه بقولها: لست لك بأم إنما أنا أم رجالكم، ولذلك رأى العلماء أن المراد بالأمومة (تحريم نكاحهن على التأبيد كالأمهات) لا ما يرتبط

---

(١) السيوطي: الحافظ جلال الدين(ت: ٩١١هـ)، **مسانيد أمهات المؤمنين**، تحقيق محمد غوث الندوي، ط١، الدار السلفية، بومبي، الهند، ١٤٠٣هـ، ص ١٥.

(٢) الصالحي الشامي: محمد بن يوسف (ت: ٩٤٢هـ)، **أزواج النبي** ﷺ، تحقيق وتخريج محمد نظام الدين الفتيح، دمشق، دار ابن كثير، ١٤١٣هـ، ص ٣٥.

بالأمومة من جواز وضع الحجاب أو المخالطة أو ما يرتبط بذلك من الأحكام.(٣)

وقد اختار الله لنبيه ﷺ أفضل النساء فهو خير الرجال وهن خير النساء وأزواجه في الدنيا أزواجه في الآخرة فقد ورد أن الرسول ﷺ قال: (إن الله أبى لي أن أتزوج أو أزوج إلا أهل الجنة).(٤)

وقد عشن مع الرسول ﷺ في داره وصحبنه في تنقلاته وأسفاره، وأخذن أخبار الرجال وأحكام النساء، والرجال، ونزلت الملائكة في بيوتهن.

وقد خير الرسول ﷺ أزواجه بين الدنيا والدار الآخرة فاخترن الله والدار الآخرة وذلك بعد نزول قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا(٢٨)وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا(٢٩)**﴾ (الأحزاب).

ولذلك فقد وردت روايات في تخيير النبي ﷺ لأزواجه منها ما أورده البخاري في صحيحه: في باب طويل هو: (باب قَوْلِهِ وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا وَقَالَ

(٣) الصالحي الشامي، **أزواج النبي** ﷺ، ص ٣٥.

(٤) ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن (٤٩٩ ـ ٥٧١هـ)، **تاريخ دمشق**، **تراجم النساء**، تحقيق سكينة الشهابي، ط١، دمشق، ١٩٨٢م، ص ٨٩. الصالحي الشامي، **أزواج النبي** ﷺ، ص ٢٥.

قَتَادَةُ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ الْقُرْآنِ وَالْحِكْمَةُ السُّنَّةُ وَقَالَ اللَّيْثُ حَدَّثَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ لَمَّا أُمِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَخْيِيرِ أَزْوَاجِهِ بَدَأَ بِي فَقَالَ إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا فَلَا عَلَيْكِ أَنْ لَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ قَالَتْ وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ قَالَتْ ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا إِلَى ـ أَجْرًا عَظِيمًا ـ قَالَتْ فَقُلْتُ فَفِي أَيِّ هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ فَإِنِّي أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ قَالَتْ ثُمَّ فَعَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ مَا فعلت).(٥)

لقد كانت جميع أمهات المؤمنين يردن الله والدار الآخرة وبالتالي فإنهن جميعاً من أهل الجنة كما يقول العلماء بناء على هذا التخيير ونتيجة جوابهن له.(٦)

كما أنهن نلن قدرًا من العلم لم يناله أحد من الناس: ﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا**﴾ (٣٤) (الأحزاب).

---

(٥) البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (١٩٤ -٢٥٦هـ)، **صحيح البخاري**، الرياض، دار إشبيلياء، ١٤١٨هـ، كتاب التفسير، باب وإن كنتن تردن...ج ٦، ص ٢٣.

(٦) الصالحي الشامي، **أزواج النبي ﷺ**، ص٢٥.

ولذلك فقد كان لهن شرف نقل كثير من أمور الشريعة للأمة بعد وفاة رسول الله ﷺ تنفيذاً لأمر الله في الآية فكن ينقلن ما يتلى في بيوتهن من آيات الله وهي القرآن، ومن الحكمة وهي أحاديث رسول الله ﷺ وسنته.

وقد كان تعامل رسول الله ﷺ معهن تعامل الزوج السامي المعلم الميسر ﷺ كما قال ﷺ فيما رواه مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أن رسول الله ﷺ قَالَ: (لَا تَسْأَلُنِي امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ إِلَّا أَخْبَرْتُهَا إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلَا مُتَعَنِّتًا وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا).(٧)

كما أنهن لم يرين منه إلا كل خير وكان ﷺ مثلًا لكل الرجال في الخير مع نسائهم وأهلهم يقول ﷺ في الحديث الذي رواه الترمذي عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي).(٨)

وقد حملت أمهات المؤمنين من خير رسول الله ﷺ وخير ماحمل من علم وخلق لسائر الأمة طيلة حياتهن في أيام رسول الله ﷺ وفي أيام

---

(٧) مسلم: الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، **الجامع الصحيح، (صحيح مسلم)**، بيروت دار الآفاق، (د.ت). كتاب الطلاق باب أن تخيير امرأته لايكون طلاقًا، ج ٤، ص ١٨٨.

(٨) الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩ــ ٢٧٩هـ)، **الجامع الصحيح (سنن الترمذي)**، تحقيق أحمد محمد شاكر، بيروت لبنان، دار إحياء التراث العربي، (د.ت). كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ باب فضل أزواج النبي ﷺ ج ٥، ص ٧٠٩.

الخلفاء الراشدين ومن بقي منهن لعصر معاوية بن أبي سفيان ﷺ.

فكن تاج المجتمع ومعلماته ومربياته وقادته في المجال الاجتماعي، فمن بدور عظيم في كل مجال وقد زاد هذا الدور وتأصل بعد رسول الله ﷺ في عصر الراشدين وفي زمن معاوية بن أبي سفيان ﷺ.

ومن المعلوم أن من بقي منهن كن يعشن في المدينة المنورة فيؤثرن ويتأثرن به، يحرص عليهن بالرعاية والتكريم أهل المدينة وروادها من ذوي الشأن في ذلك الزمان.

عصر معاوية:

أصبح معاوية بن أبي سفيان(٩) خليفة للمسلمين في عام الجماعة بعد أن تمت بيعته من قبل الحسن بن علي ﷺ، وتوحد المسلمون منذ ذلك اليوم تحت لوائه وذلك في سنة٤١ للهجرة.(١٠)

وقد استمر معاوية خليفة للمسلمين يؤدي الواجبات المناطة به يحمي ثغور المسلمين ويقمع الفتن، ويقسم العطاء ويقيم الحدود ويحفظ الأمن ويقوم

---

(٩) انظر ترجمته بتوسع عند: الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت:٨٤٧هـ)، **سير أعلام النبلاء**، ط١، بيروت مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ، ج ٣، ص ١٥١.

(١٠) خليفة بن خياط: **تاريخه**، ص ٢٠٣. الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ).**تاريخ الأمم والملوك**، بيروت، دار الفكر، (د.ت). ج ٦، ص ٩٤. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٣، ص ١٣٧. ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت: ٧٧٤هـ).**البداية والنهاية**، ط٣، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٨م، ج ٨، ص ١٦.

بأعباء الخلافة المختلفة، كما فتحت في أيامه مناطق جديدة في حدود الروم مع بلاد الشام،[(١١)] وفي شمال أفريقيا وبعض الجزر في البحر الأبيض المتوسط، كما حاول عدة مرات فتح القسطنطينية عاصمة الروم إلا أنه لم ينجح في ذلك،[(١٢)] وعمومًا فإن فترة خلافة معاوية، تعد فترة استقرار ورخاء في عموم الأمصار الإسلامية وخصوصًا في الحجاز وبالذات في المدينة المنورة، وكما قال عنه الذهبي رحمه الله: (ومعاوية من خيار الملوك الذين غلب عدلهم على ظلمهم وما هو ببريْ عن الهنات والله يعفو عنه).[(١٣)]

وقد توفي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في سنة ٦٠هـ.[(١٤)]

---

(١١) خليفة بن خياط: بن أبي هبيرة العصفري، تاريخه، تحقيق أكرم العمري، ط٢، بيروت دار القلم، ١٣٩٧، ص ٢٠٨. البلاذري: أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر، **فتوح البلدان**، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨، ص ١٨٩. الطبري، **تاريخه**، ج ٥، ص ١٣٠. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٣، ص ١٥١.

(١٢) الطبري، **تاريخه**، ج ٥، ص ١٣٠. ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، **الكامل في التاريخ**، بيروت لبنان، دار صادر، ١٣٨٥هـ، ج ٣، ص ٤٨٥. ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ٨، ص ٣٢.

(١٣) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٣، ١٣٧.

(١٤) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٢، ص ٢٣٢.

أمهات المؤمنين في عصر معاوية:

توفي رسول الله ﷺ عن تسع من أمهات المؤمنين،[١٥] وقد لحقت أولاهن بالرسول ﷺ بعد وفاته وهي زينب بنت جحش سنة عشرين للهجرة.[١٦] وقد أدرك خلافة معاوية رضي الله عنه منهن سبع وهن على النحو الآتي.

عائشة بنت أبي بكر الصديق (٩ ق.هـ - ٥٨هـ):

أمها أم رومان بنت عامر بن عويمر، من المبشرات بالجنة[١٧] كانت عائشة تكنى بأم عبد الله،[١٨] عقد عليها رسول الله ﷺ بمكة وهاجرت مع والديها إلى المدينة، ودخل بها رسول الله ﷺ بعد الهجرة وعمرها تسع سنوات، وهي الوحيدة البكر من بين نسائه ﷺ،[١٩] وكانت تفتخر على نسائه بذلك،[٢٠] عاشت مع رسول الله ﷺ في المدينة وكانت تسافر معه في كثير من غزواته، وقد أحبها الرسول ﷺ وبشرها بمرافقته في الجنة أكثر من

(١٥) الصالحي الشامي، **أزواج النبي** ﷺ ص٢٦. السيوطي: **مسانيد أمهات المؤمنين**، ص ٧. ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ٥، ص ٢٥٥

(١٦) السيوطي، **مسانيد أمهات المؤمنين**، ص١٢٤

(١٧) ابن سعد: محمد بن منيع الهاشمي، مولاهم - كاتب الواقدي -(ت: ٢٣٠هـ).، **الطبقات الكبرى**، بيروت، دار صادر، (ب.ت).ج ٨، ص ٢٧٦.

(١٨) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٨، ص ٦٣.

(١٩) **صحيح البخاري**، كتاب النكاح، باب (نكاح الأبكار)، ج ٦، ص ١١٩.

(٢٠) الصالحي الشامي، **أزواج النبي** ﷺ، ص ٩٨.

مرة، توفي عنها رسول الله ﷺ ولها من العمر ثمانية عشر سنة، وكانت محل عناية المسلمين بعد رسول الله ﷺ كان أكثر الناس صلة بها وأخذًا للعلم منها أبناء أختها أسماء ومن أشهرهم في ذلك عبدالله بن الزبير وعروة بن الزبير وغيرهم، (٢١) توفيت(رضي الله عنها)في المدينة في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين للهجرة على الأرجح.(٢٢)

حفصة بنت عمر بن الخطاب(١٨ق.هـ - ٤٥هـ):

هي ابنة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولدت قبل البعثة بخمس سنين، وأمها زينب بنت مظعون،(٢٣) تزوجها رسول الله ﷺ في السنة الثالثة من الهجرة،(٢٤) عاشت معه ونهلت من علمه وتأدبت بأدبه ﷺ عاشت بعد وفاته ﷺ وشهدت عصر الراشدين الزاهر وعاشت الفتن التي جرت بعد استشهاد عثمان رضي الله عنه، كما عاشت فترة من خلافة معاوية، كان اخوتها من أبناء عمر وعلى رأسهم عبد الله بن عمر رضي الله عنه أكثر الناس التصاقًا بها وأخذًا للعلم منها، وتوفيت في شعبان سنة خمس وأربعين

---

(٢١) انظر الرواة عن عائشة عند: جمعة: أحمد خليل، **نساء أهل البيت**، ط٢، دمشق، دار اليمامة، ١٩٩٦م، ص ١٤٩.

(٢٢) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٢، ص ١٩٢. الصالحي الشامي، **أزواج النبي ﷺ**، ص١٣٥.

(٢٣) الصالحي الشامي، **أزواج النبي ﷺ**، ص ١٣٧.

(٢٤) الذهبي، سير **أعلام النبلاء**، ج ٣، ص ٢٧٧. الصالحي الشامي، **أزواج النبي ﷺ**، ص ١٣٩.

للهجرة وقد بلغت ستين سنة.(٢٥)

أم سلمة (١٤ق.هـ - ٥٩هـ):

هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية،(٢٦) استشهد عنها زوجها أبو سلمة بن عبد الأسد فتزوجها من بعده رسول الله ﷺ في شوال من السنة الرابعة للهجرة، كانت تشير على رسول الله ﷺ في كثير من المواقف،(٢٧) لها منزلة خاصة عند رسول الله ﷺ، رحلت معه في العديد من الغزوات، عاشت بعد رسول الله ﷺ وشهدت عصر الراشدين، وما جرى من فتن بعد استشهاد عثمان، كانت تربطها علاقة خاصة بعلي بن أبي طالب وبنيه(٢٨) وتوفيت في أول عصر يزيد بن أبي سفيان، سنة إحدى و ستين وكانت آخر أمهات المؤمنين موتًا.(٢٩)

---

(٢٥) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٨، ص ٨٦. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٢، ص٢٢٩. الصالحي الشامي، **أزواج النبي ﷺ**، ص ١٤٤.

(٢٦) ابن حجر: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني(ت: ٨٥٢هـ)، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ط١، القاهرة مطبعة السعادة، ١٣٢٨هـ. ج ٤، ص ٤٥٨. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٢، ص ٢٠١.

(٢٧) انظر إلى رأيها في صلح الحديبية عند **صحيح البخاري**، (باب الشروط في الجهاد) ج ٣، ص ١٨٢. ابن هشام: أبو محمد عبد الملك المعافري (ت: ٢١٣هـ).**السيرة النبوية**، تعليق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة شقرون، القاهرة (د.ت)ج ٣، ص ٣١٩. الصالحي الشامي، **أزواج النبي ﷺ**، ص ١٥٧.

(٢٨) السيوطي، **مسند أمهات المؤمنين**، ص ٤٤.

(٢٩) ابن حجر، **الإصابة**، ج ٤، ص ٢٦٠. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٢، ص ٢٦٣. الصالحي الشامي، **أزواج النبي ﷺ**، ص ١٥٨.

جويرية بنت الحارث(١٤ق.هـ ـ ٥٠هـ):

كان اسمها برّة، فسماها رسول الله ﷺ جويرية، وهي ابنة للحارث بن أبي ضرار زعيم بني المصطلق، سبيت في غزوة بني المصطلق فوقعت في سهم رجل من الأنصار فجاءت تشتكي لرسول الله ﷺ فاشتراها فأعتقها ثم تزوجها سنة خمس من الهجرة، عاشت بقية حياتها في كنف رسول الله ﷺ، وقد شهدت عصر الراشدين وما دار فيها، وتوفيت سنة ست وخمسين للهجرة ولها من العمر خمس وستين سنة.(٣٠)

أم حبيبة بنت أبي سفيان (٢٨ق. هـ ـ ٤٤هـ):

اسمها رملة وهي ابنة لأبي سفيان صخر بن حرب زعيم قريش المشهور، وأمها صفية بنت أبي العاص بن أمية، كانت مؤمنة صالحة هاجرت مع المسلمين إلى الحبشة بصحبة زوجها عبيد الله بن جحش، ثم تنصر ومات عنها، ثبتت (رضي الله عنها) على إسلامها مع ردة زوجها، فخطبها النبي ﷺ وبعث لها صداقًا وهي في الحبشة وتزوجها ثم هاجرت إلى المدينة سنة ست من الهجرة، عاشت في بيت النبوة بعيدة عن أهلها المشركين حتى أسلموا يوم الفتح، نهلت من علم رسول الله ﷺ عاشت بعده عصر الراشدين، وجزءًا من خلافة معاوية، وهي أخت للخليفة ولذلك سمي

---

(٣٠) ابن حجر، **الإصابة**، ج ٤، ص ٢٦٦. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ، ص ٢٦٣. الصالحي الشامي، **أزواج النبي ﷺ**، ص ٢١٠.

معاوية ﷺ خال المؤمنين،(٣١) كانت لها هيبة وجلالة، توفيت في المدينة سنة أربع وأربعين للهجرة.(٣٢)

ميمونة بنت الحارث (١٨ق. هـ - ٥١هـ):

كان اسمها برّة، فسماها رسول الله ﷺ ميمونة، وهي بنت للحارث بن حزن الهلالية، تزوجها رسول الله ﷺ في عمرة القضاء سنة سبع للهجرة، كانت خالة لعبد الله بن عباس، ولخالد بن الوليد، وأخت لأسماء بنت عميس لأمها، عاشت في بيت رسول الله ﷺ ونهلت من علمه، بقيت بعده زمن الراشدين وشهدت أحداثه، بقيت زمنًا من خلافة معاوية ﷺ حتى توفيت سنة إحدى وخمسين للهجرة.(٣٣)

صفية بنت حيي (١٠ق.هـ - ٥٢هـ):

هي صفية بنت حيي بن أخطب من ذرية نبي الله هارون ﷺ، كان أبوها سيد يهود بني النظير، قتل عنها زوجها من يهود خيبر أثناء غزوة خيبر، فصارت مع السبي فأعتقها رسول الله ﷺ ثم تزوجها في شوال سنة سبع للهجرة، أحبت رسول الله ﷺ رغم عدائه ليهود وقتله لأبيها وزوجها

(٣١) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٢، ص ٢٢٢.
(٣٢) ابن حجر، **الإصابة**، ج ٤، ص ٣٠٧. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٢، ص ٢٢٢. الصالحي الشامي، **أزواج النبي ﷺ**، ص ١٦٤.
(٣٣) ابن حجر، **الإصابة**، ج ٤، ص ٤١٣. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٢، ص ٢٤٥. الصالحي الشامي، **أزواج النبي ﷺ**، ص ١٦٤.

وهم من زعمائهم، حيث شرح الله صدرها للإسلام، ودعا لها ﷺ حتى ذهب ما كانت تجده عليه، وأخبرها ﷺ أنها ابنة نبي، وعمها نبي وزوجة نبي توفي عنها رسول الله ﷺ، فعاشت زمن الراشدين وشهدت أحداثه، وبقيت زمنًا من خلافة معاوية وتوفيت سنة اثنتين وخمسون للهجرة الشريفة.(٣٤)

مقر أمهات المؤمنين:

لقد عاشت أمهات المؤمنين في المدينة أثناء حياة الرسول ﷺ وبعد وفاته، فكانت سكناهن وإقامتهن الدائمة فيها، وفي بيوتهن التي خصصها لهن رسول الله ﷺ في الغالب، حيث كان قرارهن(وقرن في بيوتكن) وكان بعضهن يخرجن للحج إلى مكة برفقة بعض محارمهن،(٣٥) كما خرجت أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) إلى العراق قبيل موقعة الجمل بصحبة عبد الله بن الزبير(٣٦) ـ ابن أختها أسماء رضي الله عنهم ـ وكانت (رضي الله عنها) كلما ذكرت هذا الخروج استغفرت وبكت، مما يدل على ندمها على

(٣٤) ابن حجر، **الإصابة**، ج ٤، ص ٣٤٨. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٢، ص ٢٣٥. الصالحي الشامي، **أزواج النبي ﷺ**، ص ٢١٣.

(٣٥) ابن حنبل: الإمام أبي عبدالله أحمد بن محمد (ت: ٢٤١هـ).**المسند**، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٩٨هـ.، ج ٦، ص ٣٢٤.

(٣٦) الطبري، **تاريخه**، ج ٥، ص ١٧٣. ابن الأثير، **الكامل**، ج ٣، ص ٢٠٩. ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ٧، ص ٢٣١.

هذا الخروج ،(٣٧) وقد منع عبدالله بن عمر أخته أم المؤمنين حفصة من الخروج إلى العراق مع عائشة (رضي الله عنها)، كما أن أم حبيبة (رضي الله عنها) كانت أختًا للخليفة معاوية ﷺ ومع ذلك فإنها آثرت البقاء في المدينة وعدم الهجرة إلى دمشق مقر الخلافة آنذاك مع ما ذكر من زيارتها لدمشق وسرعة عودتها للمدينة ،(٣٨) ولعل أمهات المؤمنين ببقائهن في المدينة يتذكرن قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (تُفْتَحُ الشَّامُ فَيَخْرُجُ مِنْ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ يَبُسُّونَ وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ثُمَّ تُفْتَحُ الْيَمَنُ فَيَخْرُجُ مِنْ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ يَبُسُّونَ وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ثُمَّ تُفْتَحُ الْعِرَاقُ فَيَخْرُجُ مِنْ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ يَبُسُّونَ وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ).(٣٩)

وقد كان لأمهات المؤمنين مكانتهن المميزة بين أهل المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ ، حيث يحرص أهل المدينة على لقياهن والتحدث إليهن والتعلم منهن ، كما أن بعض من يزور المدينة من الأمصار الإسلامية يقدمون الهدايا لبيوت أمهات المؤمنين وكن من الزاهدات العابدات وبالتالي فإنهن يخرجن ما يأتيهن صدقة على أهل المدينة من الضعفاء والمحتاجين، كما كان رواة الحديث يقصدون المدينة للسماع منهن وأخذ علمهن .

---

(٣٧) الذهبي ، **سير أعلام النبلاء** ، ج ٢ ، ص ١٧٧.

(٣٨) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، **تراجم النساء** ، ص٧٠ . جمعة ، **نساء أهل البيت** ، ص ٣٩٩.

(٣٩) **صحيح مسلم** ، كتاب الحج ، باب(الترغيب في المدينة عند فتح الأمصار)، ج ٤ ، ص١٢٢.

وقد حرص معاوية ﷺ على زيارة أمهات المؤمنين في المدينة والسماع منهن،[٤٠] وبالتالي فإن استقرارهن بالمدينة جعل لها ميزة خاصة في تلك الفترة ببقاء أزواج النبي ﷺ فيها.

وكن رضي الله عنهن ممن التزمن أمر الله وأمر رسوله ﷺ فقد روي (أن عائشة عليها السلام إذا قرأت هذه الآية وقرن في بيوتكن بكت حتى تبل خمارها).[٤١]

حياتهن الخاصة:

لقد عاشت أمهات المؤمنين في حجراتهن بعد وفاة النبي ﷺ وكن يقمن بخدمة أنفسهن، كما يوجد من يقوم على خدمتهن من أقاربهن وجيرانهن ومواليهن، فالكل يريد أن يخدمهن، وخصوصًا بعد أن تقدمت بهن السن، ومع ذلك فقد كن مضرب المثل للرجال والنساء بالعمل وخدمة النفس والآخرين، فكانت إحداهن تطبخ لنفسها وترقع ثوبها وتعمل بيدها رغم قدرتها على توفير من يخدمها ورغم مسارعة الناس للقيام بما تحتاجه أمهات المؤمنين، إلا أنهن كن يرين العمل عبادة وصلاحًا، والزهد منهجًا وطريقًا فقد ورد(أن داخلا دخل على عائشة وهي تخيط نقبة[٤٢] لها فقال يا أم

(٤٠) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٢، ص ١٨٢.

(٤١) ابن سعد، **الطبقات**، ج ٨، ص ٨١.

(٤٢) النقبة: نوع من السراويل. مجموعة من العلماء: **المعجم الوسيط**، إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة، طبعته المكتبة الإسلامية، استانبول، (د. ت). ص ٩٤٣.

المؤمنين أليس قد أكثر الله الخير قالت دعنا منك لا جديد لمن لا خلق له).[٤٣]

كما ورد حثهن على العمل ولو ليلة العرس حيث يضرب بأم سلمة (رضي الله عنها) المثل بأنها(دخلت على سيد المرسلين ﷺ أول العشاء عروسًا وقامت من آخر الليل تطحن).[٤٤]

وقد وردت نصوص مختلفة عن أثاثهن،[٤٥] وعن ملابسهن،[٤٦] وعن حليهن، بل وعن لباسهن في مواقف خاصة مثل الحج،[٤٧] أو الأعياد أو غيرها من المناسبات.

كما وردت نصوص أخرى عن طعامهن ولباسهن، حيث كن يقتدين برسول الله ﷺ فهذه أم المؤمنين حفصة (رضي الله عنها) تروي بنفسها عن رسول الله ﷺ أنه كان يجعل يمينه لطعامه وشرابه وثيابه، ويجعل شماله لما سوى ذلك،[٤٨] ولا شك أن إيرادها لهذا الحديث كان بمناسبة معينة أرادت توجيه الناس خلالها لسنة رسول الله ﷺ في الطعام واللباس وغير ذلك.

---

(٤٣) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٨، ص ٧٣.
(٤٤) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٨، ص ٩٢.
(٤٥) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٨، ص ٨٦.
(٤٦) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٨، ص ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣.
(٤٧) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٨، ص ٧١.
(٤٨) جمعة، نساء **أهل البيت**، ص ٢٠٠.

أما عبادتهن وتقواهن فهي أكبر من أن يتحدث عنها، فقد اشتهر عن عائشة (رضي الله عنها) كثرة صيامها وقيامها وقراءتها للقرآن، وبكائها ودعائها وإلحاحها في الدعاء، وقد نقلت عنها روايات كثيرة في هذا الأمر يصعب حصرها.[(٤٩)]

كما عرف عن حفصة (رضي الله عنها) كثرة صيامها وقيامها، وقد قيل إنها ماتت وهي صائمة (رضي الله عنها).[(٥٠)]

كما اشتهر عن أم سلمة (رضي الله عنها) كثرة عبادتها ودعائها، حيث نقل عنها نصوص كثيرة في الدعاء.[(٥١)]

كما كانت أم المؤمنين جويرية بنت الحارث (رضي الله عنها) تنقل للناس ما علمها رسول الله ﷺ من حسن ذكر الله وتسبيحه.[٥٢]كما نقلت سنن النبي ﷺ في الصيام وحافظت عليها.[(٥٣)]

---

(٤٩) انظر: أبو نعيم الأصبهاني: أحمد بن عبدالله (ت: ٤٣٠هـ)، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ج ٢، ص ٤٧. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٢، ص ١٩٨. جمعة، **نساء أهل البيت**، ص ١٥٥.

(٥٠) ابن حجر، **الإصابة**، ج ٤، ص ٢٦٥.

(٥١) جمعة، **نساء أهل البيت**، ص ٢٦٨.

(٥٢) **صحيح مسلم**، باب (التسبيح أول النهار وعند النوم) ج ٨، ص ٨٣.

(٥٣) **صحيح البخاري**، كتاب الصوم، باب صوم يوم الجمعة، ج ٢، ص ٥٤٨. أحمد بن حنبل، **المسند**، ج ٦، ص ٤٢٤. ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ١، ص ١١٩.

أما أم المؤمنين أم حبيبة (رضي الله عنها) فقد كانت من العابدات الورعات قل أن تفارق مصلاها.(٥٤)

كانت بيوت أمهات المؤمنين مجاورة لمسجد رسول الله ﷺ وهو مركز المدينة وملتقى أهلها وزائريها ولذلك كان اتصالهن بالناس أيسر، وكن يوجهن بعض زوار المسجد من المصلين والقراء إذا لزم الأمر ورأين ما يحتاج لذلك.(٥٥)

وكن قليلات الحديث إلا لحاجة، فقد روى الترمذي عن أم حبيبة (رضي الله عنها) أنها قالت: (كلام ابن آدم عليه لا له، إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذكر الله عز وجل).(٥٦)

علاقاتهن الاجتماعية:

لم تكن أمهات المؤمنين غريبات عن المجتمع فالكل يرى أنهن أمهات لهم، كما أنهن يرتبطن بعلاقات عائلية وأسرية مع الكثير من أهل المدينة وغيرها، يقول تعالى مشيرًا لهذه العلاقة والروابط الخاصة: ﴿لَا جُنَاحَ

---

(٥٤) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ٨، ص ٢٨.

(٥٥) أبو نعيم، **حلية الأولياء**، ج ٢، ص ٥٥.

(٥٦) الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩ -٢٧٩هـ). **الجامع الصحيح (سنن الترمذي)**، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان (ب.ت)، ج ٤، ص ٦٠٨. ابن ماجه: الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧ ـ ٢٧٥هـ). **سنن ابن ماجه**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت (د.ت).ج ٢، ص ١٣١٥.

عَلَيْهِنَّ فِي ءَابَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ (٥٥) [الأحزاب].

وقد كان معظمهن من قريش، مثل عائشة وحفصة، وأم سلمة وأم حبيبة، كما أن بعضهن من العرب ومنهن جويرية بنت الحارث وميمونة بنت الحارث، وكانت منهن صفية من يهود العرب أصلًا، والجميع تربطهن بالمجتمع علائق الإيمان، ويتميزن بقربهن من رسول الله ﷺ، وبأمومتهن للمؤمنين، كما كان لبعضهن إخوة مثل حفصة وعائشة وأم سلمة وأم حبيبة وغيرهن، وكان لهؤلاء الإخوة بنين وبنات وأحفاد وأخوات وزوجات وأرحام، وبالتالي كان لهن علاقاتهن الأسرية الخاصة، والممتدة بجذورها المختلفة في مجتمع المدينة، ومكة والأمصار الإسلامية الأخرى، وكن (رضي الله عنهن) واصلات للرحم موصولات باستمرار، فكن يهدين للنساء الأقمشة وغيرها[٥٧]، كما يهدي لهن أقاربهن من الرجال، فقد ثبت تقديم عبدالله بن الزبير للهدايا لخالته أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)[٥٨] وقد حرمت أمهات المؤمنين في المدينة إجمالًا من الذرية، عدا أم سلمة التي عاش أبناؤها من زوجها السابق، الذين تربوا في حجر رسول

---

(٥٧) انظر: ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٨، ص ٧١.

(٥٨) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٨، ص ٧٢.

الله ﷺ ،[٥٩] فكانوا عونًا لها وعونًا للناس على تلقي علمها. وقد عاش أبناؤها سلمة وعمر طيلة خلافة معاوية وبقوا بعد ذلك عشرات السنين، وأما ابنتها زينب فقد كانت من أفقه النساء في زمانها وعاشت طيلة خلافة معاوية وبقيت بعده.[٦٠]

وامتازت علاقة أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) بأبناء أختها أسماء، حيث كانت تكنى بأم عبدالله ويقصدون به عبدالله بن الزبير، وكانوا يصحبونها في كل سفرياتها كما كانوا يعتبرونها بمثابة الأم، وقد نالوا من علمها، فكانت معظم روايات الحديث عنها بواسطتهم،[٦١] كان أبناء الزبير ينادونها بـ يا أماه، وبـ يا خالة، ويعجبون من غزير علمها،[٦٢] وكانت توجههم وتأدبهم عند الحاجة،[٦٣]كما كانت تدفع عنهم الأذى.[٦٤]

---

(٥٩) ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت)، ج ٢، ص ٤٣٠. الصالحي الشامي: **أزواج النبي ﷺ**، ص ١٥١.

(٦٠) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٦. الصالحي الشامي، **أزواج النبي ﷺ**، ص ١٥٩، ١٦٠.

(٦١) انظر الرواة عن عائشة عند: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٢، ص ١٣٦. الفنيسان: سعود بن عبدالله، **مرويات أم المؤمنين عائشة ـ** رضي الله عنهاـ في التفسير، مكتبة التوبة، الرياض، ١٤٠٣هـ، ص ١٦.

(٦٢) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٣، ص ١٨٢.

(٦٣) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٢، ص ١٨٤.

(٦٤) الصالحي الشامي، **أزواج النبي ﷺ**، ص ١٣١.

كما كان أخوتها وأبناء أخوتها من الملازمين لها، وكانت تصلح بينهم عند الحاجة، فقد وردت أخبار عن إصلاح عائشة بين أخيها عبد الرحمن وبين زوجاته،[٦٥] وقد كان بعض أبناء أخيها عبد الرحمن عند موتها ملازمين لها،[٦٦] كما شهد وفاتها عبدالله بن الزبير ﷺ وغيرهم من أقاربها.[٦٧]

كما كانت لحفصة علاقتها المميزة بأبناء عمر بن الخطاب ﷺ وخصوصًا الصحابي الجليل عبدالله بن عمر ﷺ، حيث كان يوجهها وتسمع منه وقد أوصت له عند موتها، وقد نزل في قبرها مع بعض أبنائه ومع عاصم بن عمر (رضي الله عنهم).[٦٨]

وقد كانت أم حبيبة أخت للخليفة معاوية ﷺ أدركت زمن خلافته، وكان يقدرها ويخصها بالزيارة والوصل، كما كانت لها علاقات حميمة بأبناء إخوتها، كما أن جمع من بني أمية يلتقون بها ويروون الأحاديث عنها.[٦٩]

كما اشتهر عن أم المؤمنين صفية (رضي الله عنها) صلتها لأرحامها ممن

(٦٥) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ٨، ص ٩٠.
(٦٦) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٣، ص ١٨١.
(٦٧) الصالحي الشامي، **أزواج النبي ﷺ**، ص ١٢٨.
(٦٨) الصالحي الشامي، **أزواج النبي ﷺ**، ص١٤٤.
(٦٩) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٢، ص ٢٢٢. الصالحي الشامي، **أزواج النبي ﷺ**، ١٦٢.

يخالف دينها حيث بقي بعض أرحامها على اليهودية ومع ذلك فقد كانت تصلهم.(٧٠)

بل إنها أوصت عند موتها ببعض المال لابن أختها وكان يهوديًا.(٧١)

كما كان أصحاب النبي ﷺ يحرصون على زيارة أمهات المؤمنين وعدم الانقطاع عنهن، وكانوا يناقشونهن في بعض المسائل الفقهية والروايات وكن في بعض الأحيان يصححنهم عند الحاجة كما فعلت عائشة في حديث قطع الصلاة.(٧٢) وفي غيره.(٧٣)

والمتتبع لروايات الحديث يجد أمهات المؤمنين يروين عن الصحابة والصحابة يروون عنهن،(٧٤) وذلك كله مع الحفاظ على الحجاب والآداب الشرعية الصحيحة.

---

(٧٠) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج٨، ص ١٢٨. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٢، ص٢٣٢. الصالحي الشامي، **أزواج النبي** ﷺ، ص ٢٢٤.

(٧١) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٨، ص ١٢٨. الدارمي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن (ت: ٢٥٥هـ). **سنن الدارمي**، دار إحياء السنة، (دون مكان أو تاريخ).كتاب الوصايا، باب(الوصايا لأهل الذمة)، ج ٢، ص ٤٢٧. ابن سيد الناس، **عيون الأثر**، ج ٢، ص ٣٨٧. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٢، ص ٢٣٢. الصالحي الشامي، **أزواج النبي** ﷺ، ص ٢٢٥.

(٧٢) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب الصلاة، باب من قال (لا يقطع الصلاة شيء)، ج ١، ص ١٣٠.

(٧٣) انظر: الصالحي الشامي، **أزواج النبي** ﷺ، ص ١٣٢.

(٧٤) جمعة: أحمد خليل، **نساء أهل البيت**، ص ٣٣٤.

وهذا يدل على العلاقات الخاصة بين الصحابة وبين بيت النبوة، وعلى استمرارها بعد وفاة النبي ﷺ مع من بقي من أمهات المؤمنين طيلة حياتهن.

كما تميزت العديد من الصحابيات والتابعيات بالرواية عن أمهات المؤمنين وأخذ العلم منهن والتردد عليهن.[٧٥]

وقد اشتهر عدد من التلميذات لعائشة (رضي الله عنها).[٧٦] منهن عمرة بنت عبد الرحمن،[٧٧] ومولاتها أم ذرة كانت تروي عن عائشة وعن غيرها من أمهات المؤمنين.[٧٨]

كما اشتهر عدد من النساء الراويات عن أم المؤمنين حفصة (رضي الله عنها).[٧٩]

كما اشتهر رواية جماعة من النساء عن أم سلمة (رضي الله عنها).[٨٠]

---

(٧٥) جمعة، **نساء أهل البيت**، ص ١٥٠.

(٧٦) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ٨، ص ٩٢.

(٧٧) هي عمرة بنت عبدالرحمن بن أسعد بن زرارة الأنصارية تربت في حجر عائشة رضي الله عنها تابعية مدنية ثقة حجة، عدت من علماء زمانها، أمر عمر بن عبد العزيز بكتابة حديثها، توفيت سنة (١٠٦هـ)، **الطبقات الكبرى**، ج ٢، ص ٣٨٦. ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ٨، ص ٩٢. ابن حجر: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ).**تهذيب التهذيب**، حيدر أباد، الهند ٨، ١٣٢ج ١٢، ص ٤٣٨.

(٧٨) ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، ج ١٢، ص ٤٧٦.

(٧٩) ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، ج ١٢، ص ٤١٠.

(٨٠) ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، ج ١٢، ص ٢٥٦.

كما روت جماعة من النساء عن أم حبيبة (رضي الله عنها).[٨١]

وقد كانت أمهات المؤمنين مرجعًا للناس في أحكام الزواج والطلاق والرضاع والمعاشرة وما يرتبط بها.[٨٢]

وقد اشتهر عن عائشة (رضي الله عنها) عنايتها الخاصة بالمرأة فقد كانت تعتني بالفتيات الصغيرات وبالنساء المتزوجات وتنصحهن وتوجههن كما كانت تنصح الرجال في كيفية التعامل مع النساء وخصوصًا حديثات السن منهن وتروي في ذلك قصتها مع النبي ﷺ التي رواها النسائي(عن عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْحَبَشَةِ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَسْأَمُ فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ الْحَرِيصَةِ عَلَى اللَّهْوِ)،[٨٣] وكانت تحدث باستمرار عن حسن تعامل الرسول ﷺ مع نسائه، وعن سمره معهن ومزاحه وملاعبته لهن، ومراعاته لأحوالهن في السفر والحج والعمرة.[٨٤]

---

(٨١) جمعة، **نساء أهل البيت**، ص ٢٩٦.

(٨٢) جمعة، **نساء أهل البيت**، ص ٢٦٥.

(٨٣) النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي (٢١٤ -٣٠٣هـ).**السنن الكبرى**، تحقيق عبدالغفار البنداري وسيد حسن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.كتاب صلاة العيدين، باب اللعب في المسجد يوم العيد ونظر النساء إلى ذلك، ج ٣، ص ١٩٥. الذهبي، **سير أعلام النساء**، ج ٢، ص ١٥١.

(٨٤) انظر ما رواه مسلم في **صحيحه**، كتاب الحج، باب وجوه الإحرام، ج ٤، ص ٢٧. الصالحي، **أزواج النبي ﷺ**، ص ١٠١، ٩٩، ٩٨.

وكانت عائشة (رضي الله عنها) تنادي بنات حواء لإيجاد المودة وزرع المحبة في بيوتهن، وتقول في هذا المجال ناصحة النساء: (أميطي عنك الأذى وتصنعي لزوجك كما تتصنعين للزيارة وإذا أمرك فلتطيعيه وإذا أقسم عليك فأبريه ولا تأذني في بيته لمن يكره).(٨٥)

كما كانت تؤكد على حسن التعامل مع الفتيات الصغيرات وتضرب المثل بفعل رسول الله ﷺ معها فقد ورد عن (هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كنت ألعب بالبنات ويجئن صواحبات فيلعبن معي فإذا رأين رسول الله انقمعن منه فكان رسول الله يدخلهم فيلعبن معي).(٨٦)

وقد اشتهرت أم المؤمنين حفصة بمعرفتها الكتابة،(٨٧) فلعل لها دور في تعليم بعض الفتيات ذلك.

كما كان لبعضهن موالي وجواري، وكن يعاملنهم معاملة حسنة، وكانوا يشهدون العلم منهن ويرون بأنفسهم زهدهن وحسن تصرفهن، وخصوصًا الجواري اللآتي كن يقضين حوائجهن،(٨٨)وقد اعتقت أمهات المؤمنين عددًا من الموالي رجالًا ونساء.(٨٩)

---

(٨٥) عبد الرزاق: أبو بكر بن همام الصنعاني (١٢٦ ـ ٢١١هـ)، **المصنف**، تحقيق حبيب عبدالرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ.ج ٣، ص ١٤٦.
(٨٦) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٨، ص ٦٦.
(٨٧) جمعة، نساء **أهل البيت**، ص ١٩٢.
(٨٨) الصالحي الشامي، **أزواج النبي ﷺ**، ص١٧٠.
(٨٩) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٢، ص ٢٣٢. الصالحي الشامي، **أزواج النبي**، ص ٩٦، ١٢٧.

وقد كانت العلاقة قائمة بين أمهات المؤمنين بعضهن مع بعض في زمن الخليفة معاوية، وتميزت علاقة عائشة بحفصة (رضي الله عنهما) بالقوة والخصوصية، [90] ولعل من أسباب ذلك كون بيت عائشة ملاصق لبيت حفصة (رضي الله عنهما)[91] ولاشك أن من كان حيًا في تلك الفترة من أمهات المؤمنين يتفقد بعضهن بعضًا ويعطف بعضهن على بعض، حيث ذهبت الغيرة من بينهن بوفاة النبي ﷺ.[92] ووردت روايات مختلفة عن حضور بعضهن وفاة البعض من ذلك ما ورد عن دعوة أم حبيبة لأم سلمة ولعائشة حين حضرتها الوفاة واستغفارهن لبعض وسرورهن بذلك.[93]

كما تميزت علاقتهن بآل البيت رضي الله عنهم بالقوة فقد اشتهرت العلاقة الخاصة بين أم المؤمنين صفية (رضي الله عنها) وبين أبناء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.[94]

كما اشتهرت زيارات الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب رضي الله عنهم لأم المؤمنين عائشة (رضي الله عنه) وترددهما عليها.[95]

---

(٩٠) الصالحي الشامي، **أزواج النبي ﷺ**، ص ١٤٣.

(٩١) عبد الغني: محمد الياس، **بيوت الصحابة حول المسجد النبوي الشريف**، ط٢، مركز طيبة للطباعة، المدينة، ١٤٠٧هـ. ص ٢٦.

(٩٢) انظر: ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٨، ص ٩٤.

(٩٣) الصالحي الشامي، **أزواج النبي ﷺ**، ص ١٧٠.

(٩٤) ابن حجر، **الإصابة**، ج ٤، ص ٣٤٨.

(٩٥) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٨، ص ٧٣.

ولاشك أن مجتمع المدينة قد تغيرت تركيبته السكانية في عهد معاوية بل قبل ذلك منذ بداية الفتوح وانتشار الإسلام وامتداده لمواطن وشعوب جديدة، حيث رحل كثير من سكان المدينة إلى مناطق الفتح، كما قدم الكثير من العجم والموالي إلى المدينة، وعمومًا فقد كانت أمهات المؤمنين على صلة بكافة شرائح المجتمع ويتمتعن بمكانة خاصة بينهم، وتزيد علاقتهن ببيوت المهاجرين والأنصار الذين بقوا في المدينة ولم يرحلوا منها.

والمطلع على ما روي عن أمهات المؤمنين من أحاديث يدرك مقدار هذه الصلة خصوصًا إذا علم مناسبات تلك الروايات وارتباط تلك المناسبات بحياة الناس العامة، فما روي عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) (٢٢١٠) أحاديث لكل حديث مناسبة وحادثة، بل ربما تكرر الحديث في أكثر من مناسبة.

وقد كان معاوية بن أبي سفيان يحرص على زيارة أمهات المؤمنين عند قدومه للمدينة، فقد زار أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) وسمع منها فلما خرج من عندها قال: (والله ما سمعت قط أبلغ من عائشة، ليس رسول الله ﷺ).[٩٦]

وعمومًا فإن أمهات المؤمنين كن رمزًا بقي بعد رسول الله ﷺ يحنو عليه الجميع ويحبه كل الناس وتهوى إليهن أفئدة المؤمنين كما تهوي إلى الأمهات

---

(٩٦) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٢، ص ١٨٣.

فكن كما وصف الله (أمهات) حقيقيات لكل المؤمنين ينظر لهن بهذه النظرة بل كن أعظم من أمهات النسب في نظر المؤمنين.

المشاركة في المناسبات الاجتماعية:

كانت أمهات المؤمنين من رواد المجتمع ولذلك كان لهن دورهن المميز في المناسبات المختلفة، فأمهات المؤمنين يشهدن الأفراح والمناسبات ويوجهن الرجال والنساء في هذه القضايا فهذه أم المؤمنين حفصة (رضي الله عنها) تنصح عبدالله بن عمر بالزواج بعد أن تردد في ذلك.[٩٧]

كانت النساء يستشرن أمهات المؤمنين في قضايا الزينة والجمال فقد ورد أن امرأة دخلت على عائشة وهي جالسة فسألتها عن الحناء فقالت شجرة طيبة وماء طهور.[٩٨]

واشتهر عن أمهات المؤمنين نصح النساء عند الزواج بما يضمن لهن النجاح في حياتهن الزوجية، فقد قالت عائشة (رضي الله عنها) لبعض النساء: (إن كان لك زوج فاستطعت أن تنزعي مقلتيك فتصنعيهما أحسن مما هما فافعلي).[٩٩]

كما اعتادت أمهات المؤمنين الحث على الزواج واليسر فيه وفيما يرتبط به

---

(٩٧) السيوطي، **مسانيد أمهات المؤمنين**، ص ١١٠.

(٩٨) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٨، ص ٧٠.

(٩٩) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٨، ص ٧١.

من مهر وعشرة، حيث يرغبن في تيسير الصداق للنساء والوليمة المرتبطة بالزواج ويضربن المثل بما قدمه رسول الله ﷺ لنسائه من مهور وما عمله من وليمة أو ولائم.(١٠٠)

وقد كن يزرن المرضى ويشاركن في وصف الدواء في بعض الأحيان، وقد عجب عروة بن الزبير رضي الله عنه من بعض وصفات عائشة العلاجية فسألها يا خالة: الطب من أين علمته؟ فقالت كنت أمرض فينعت لي الشيء، ويمرض المريض فينعت له وأسمع الناس ينعت بعضهم لبعض فأحفظه.(١٠١)

كما حفظت لنا الراويات عن أم سلمة (رضي الله عنها) ما يدل على متابعتها لأمور الخليفة والأمراء والأئمة وتقويمها لأعمالهم، وما يتعلق بالإنكار عليهم، مع اتقاء الفتنة في وقت واحد،(١٠٢) وذلك مما يدل على متابعتها للأحوال السياسة العامة في أيام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

وقد وردت روايات مماثلة عن أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث.(١٠٣)

وكانت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث تحث الشباب من أقاربها وغيرهم

---

(١٠٠) انظر: ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٨، ص ١٢٥.

(١٠١) الهيثمي، **مجمع الزوائد**، ج ٩، ص ٢٤٢. أبو نعيم، **حلية الأولياء**، ج ٢، ص ٩٢. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٢، ص ١٨٢. جمعة، **نساء أهل البيت**، ص ١٥٢.

(١٠٢) السيوطي، **مسانيد أمهات المؤمنين**، ص ٤٩.

(١٠٣) السيوطي، **مسانيد أمهات المؤمنين**، ص ٩٩.

على احترام أموال العامة من الناس وعدم الاعتداء على أملاكهم ومزارعهم دون وجه حق.[١٠٤]

كما أمرت بتأديب شاب من أقاربها شمت منه رائحة شراب وأكدت على أن يكون هذا التأديب بين جموع من المسلمين.[١٠٥]

أمهات المؤمنين والأعمال الخيرية:

اشتهرت أمهات المؤمنين بمحبتهن لعمل الخير، وتعليمهن الناس ذلك وكن يطبقن هذا الأمر في حياتهن، والأمثلة على أعمالهن الخيرية كثيرة، فمن ضمن ذلك تفريق الأموال بين الفقراء والمحتاجين حيث كانت تصلهن أموال كثيرة من معاوية ﵁ ومن بعض امرائه فكن يفرقنها على الناس، فقد بعث معاوية ﵁ إلى عائشة بمائة ألف درهم فما أمست حتى فرقتها كلها في المحتاجين والفقراء.[١٠٦]

وقيل إن معاوية ﵁ إنما بعث لها المال ثمنًا لبيتها لكنها تصدقت.[١٠٧]

كما ورد عن عروة عن عائشة قال: (رأيتها تصدقت بسبعين ألفا وإنها لترقع جانب درعها).[١٠٨] وفي هذا النص يدل على زهدها (رضي الله

---

(١٠٤) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٢، ص ٢٤٢.
(١٠٥) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٢، ص ٢٤٤.
(١٠٦) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٢، ص ١٨٣. جمعة، **نساء أهل البيت**، ص ١٥٥.
(١٠٧) عبد الغني، **بيوت الصحابة حول المسجد النبوي الشريف**، ص ٢٥.
(١٠٨) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٨، ص ٦٦.

عنها) مع قدرتها، حيث كانت تجد المال وتتصدق به في الوقت الذي ترقع ثيابها كما يفعل الفقراء والزهاد.

وقد وردت رواية أخرى عن هشام بن عروة عن محمد بن المنكدر عن أم ذرة قالت: (بعث ابن الزبير إلى عائشة بمال في غرارتين يكون مائة ألف فدعت بطبق وهي يومئذ صائمة فجعلت تقسم في الناس قال فلما أمست قالت يا جارية هاتي فطري فقالت أم ذرة يا أم المؤمنين أما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحما تفطرين عليه فقالت لا تعنفيني لو كنت أذكرتني لفعلت).(١٠٩)

وقد ذكر أن عائشة (رضي الله عنها) قد أعطت قماشًا لتلميذة لها.(١١٠)

وقد اشتهر أن عددًا منهن أوقفن بيوتهن في سبيل الله، منهن عائشة وأم سلمة وأم حبيبة وصفية.(١١١)

وقد كانت حفصة (رضي الله عنها) مسؤولة عن أوقاف أبيها عمر رضي الله عنه

---

(١٠٩) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٨، ص ٦٧.

(١١٠) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٨، ص ٧١.

(١١١) ابن العماد الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي (ت: ١٠٨٩هـ)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ط٢، دار المسيرة، بيروت، ١٣٩٩هـ، ج ١، ص ٢٤٥. جمعة، **نساء أهل البيت**، ص ٣٦٣. الحجيلي: عبدالله بن محمد، **الأوقاف النبوية ووقفيات بعض الصحابة الكرام**، (دراسة فقهية تاريخية وثائقية) بحث مقدم لندوة (المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية)، المدينة المنورة، محرم ١٤٢٠هـ، ص ٣٩ .

بعد موته، رغم وجود الذكور من ذريته المؤهلين لذلك ممن لهم صحبة كعبد الله بن عمر رضي الله عنه، فكانت تقوم بتفريق الواردات من ذلك الوقف على أعمال الخير التي حددها عمر رضي الله عنه.[112]

كما أنها (رضي الله عنها) أوصت بمال لها في المدينة في منطقة الغابة، لتكون صدقة جارية، وجعلت الوصي عليه عبدالله بن عمر رضي الله عنه.[113]

كما عرف عنها الكتابة، وأنها كانت تشرف على استنساخ بعض المصاحف بنفسها وتتابع من يقوم بذلك وتوجهه.[114]

كما كانت بعض أمهات المؤمنين يحرصن على تربية الأيتام والقيام بحقهم ورعايتهم، خصوصًا إذا جمعوا يتمًا وقرابة.[115]

كما اشتهر عن أمهات المؤمنين حبهن لعتق الرقيق فعائشة (رضي الله عنها)كانت تكثر من العتق فقد أعتقت عدة موالي عند وفاة أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه.[116]

كما أعتقت صفية (رضي الله عنها) جارية لها.[117]

---

(112) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٣، ص ٣٥٧. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٢، ص١٨٣. ابن حجر، **الإصابة**، ج ٤، ص ٢٧٣.

(113) ابن حجر، **الإصابة**، ج ٤، ص ٢٧٣.

(114) انظر: الهيثمي، **مجمع الزوائد**، ج ٦، ص ٣٢٠.

(115) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٨، ص ١٣٩.

(116) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ٨، ص ٨٨.

(117) ابن حجر، **الإصابة**، ج ٤، ص ٣٤٧.

وكانت بعض أمهات المؤمنين يتعمدن إرضاع أبناء مواليهن من أخواتهن إن وجدن حتى يكن أخوالهم من الرضاعة فيجوز دخولهم عليهن بدون حجاب، كما فعلت حفصة (رضي الله عنها) بإرضاع بعض أبناء مواليها من أختها فاطمة بنت عمر ﷺ.[١١٨]

وكن يشفعن للمحتاجين فقد كتبت عائشة (رضي الله عنها) إلى زياد بن أبي سفيان وكان أميرًا لمعاوية ﷺ على العراق تستشفع لأحد موالي أخيها عبدالرحمن فأقطعه أرض بنواحي الموصل.[١١٩]

كما اشتهر عنهن ترددهن على مكة للحج ولعل مرد ذلك ما ورد عن عائشة أم المؤمنين عن النبي ﷺ قالت استأذنه نساؤه في جهاد فقال يحسبكن الجهاد أو جهادكن الحج.[١٢٠]

وقد كانت أمهات المؤمنين يمارسن الإصلاح الاجتماعي بكل أشكاله فأم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) تنهى باستمرار عن الاعتداء على حقوق الآخرين، وقد وقفت موقفًا من حق يهودي قريب لصفية، ولعل هذا الموقف كان من أسباب إسلامه فقد أورد ابن سعد في الطبقات قال: (ورثت صفية مائة ألف درهم بقيمة أرض وعرض فأوصت لابن أختها

---

(١١٨) السيوطي، **مسانيد أمهات المؤمنين**، ص ١٠٨.
(١١٩) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج ٥، ص ٣٢٣.
(١٢٠) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ١٢، ص ٣٨٨.

وهو يهودي بثلثها.. فأبوا أن يعطوه حتى كلمت عائشة زوج النبي ﷺ فأرسلت إليهم اتقوا الله وأعطوه وصيته فأخذ ثلثها وهو ثلاثة وثلاثون ألف درهم ونيف)[١٢١] كما كانت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث تشارك في أعمال الخير المختلفة تبذل النصيحة للناس.[١٢٢]

وتشدد في الوصية بعدم الإسراف ومراعاة النعمة فقد ورد أنها أبصرت حبة رمان في الأرض فأخذتها وقالت: إن الله لا يحب الفساد.[١٢٣]

كما كن يأمرن الناس بالرفق وحسن التعامل فقد ورد عن عائشة أنها قالت: (ما ضرب رسول الله ﷺ امرأة قط ولا ضرب خادما له قط ولا ضرب بيده شيئا إلا أن يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيء فانتقمه من صاحبه إلا أن تنتهك محارم الله فينتقم).[١٢٤]

وأما العلم والإفتاء فموضوع طويل يحتاج إلى بحوث مستقلة، ويمكننا الإشارة إلى أنه من المشهور ممارسة أمهات المؤمنين لدورهن العلمي المميز في المجتمع الإسلامي والإطلاع على تلاميذ وتلميذات كل واحدة من أمهات المؤمنين يمكن أن يوضح دورهن العلمي في مجتمع المدينة، حيث كن مرجعًا للإفتاء (رضي الله عنهن) ولعل مما يشهد بذلك ما ورد عن مسلم عن

---

(١٢١) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٨، ص ١٢٨، ١٢٩.
(١٢٢) ابن حجر، **الإصابة**، ج٤، ص ٤١٢.
(١٢٣) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٨، ص ١٣٩.
(١٢٤) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٢، ص ١٩٥.

مسروق (أنه قيل له هل كانت عائشة تحسن الفرائض فقال: أي والذي نفسي بيده لقد رأيت مشيخة أصحاب محمد ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض)(١٢٥) بل إنهن حتى خارج المدينة وخصوصًا في موسم الحج يرجع إليهن الناس في الإفتاء فيما يتعلق بالنساء من قضايا الحج.(١٢٦)

وقد اشتهر عن بعض أمهات المؤمنين شهادتهن للصلاة على جنائز بعض الصحابة مثل ما ورد من حضورهن الصلاة على سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في المدينة عند وفاته سنة خمس وخمسين بالمدينة.(١٢٧)

وفيات أمهات المؤمنين وأثرها على مجتمع المدينة:

عند مرض بعض أمهات المؤمنين يصبحن محل عناية خاصة من المجتمع ككل ومن أصحاب النبي ﷺ خصوصًا فقد جاء ابن عباس يستأذن على عائشة رضي الله عنها في مرضها الذي ماتت فيه فلما دخل عليها قال لها: ابشري فما بينك وبين أن تلحقي بمحمد ﷺ إلا أن تخرج الروح من الجسد كنت أحب نساء رسول الله ﷺ ولم يكن رسول الله ﷺ يحب إلا طيبًا.(١٢٨)

---

(١٢٥) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٨، ص ٦٦.

(١٢٦) ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، (تراجم النساء)، ص ٧٠.

(١٢٧) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ٨، ص ٧٨.

(١٢٨) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج٨، ص٧٤. ابن حنبل: الإمام أبي عبدالله أحمد بن محمد (ت: ٢٤١هـ)، **فضائل الصحابة**، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، ط١، مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، ١٤٠٣هـ، ص٨٧٤. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٢، ص١٨٣. ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ٨، ص ٩٣. الصالحي الشامي، **أزواج النبي ﷺ**، ص ٩١.

وقد نزل في قبرها عدد من أبناء الزبير أمهم أسماء أخت عائشة (رضي الله عنهم) وعدد من أبناء اخوتها.(١٢٩)

وحينما توفيت أم المؤمنين حفصة (رضي الله عنها) اجتمع لجنازتها أهل المدينة وصلى عليها أمير المدينة من قبل معاوية ﷺ مروان بن الحكم، وحمل جنازتها جماعة من الصحابة ﷺ وتأثر أهل المدينة بموتها.(١٣٠)

وأما أم حبيبة بنت أبي سفيان فقد مرضت في المدينة فدعت أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) ودعت لها واستسمحتها واستغفرت كل واحدة منهما للأخرى، وكذلك فعلت مع أم سلمة (رضي الله عنها)(١٣١) وماتت سنة أربع وأربعين للهجرة النبوية.

أما أم سلمة (رضي الله عنها) فكانت آخر أمهات المؤمنين وفاة، وقد تجاوزت الثمانين من عمرها، وقد عاشت طيلة خلافة معاوية وكانت وفاتها في أول خلافة يزيد، وقد صلى عليها الصحابي الجليل أبو هريرة ﷺ كما دخل في قبرها أبناؤها عمر وسلمة وبعض أبنائهم، وكان لوفاتها

(١٢٩) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٨، ص ٨٠. ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ٨، ص ٩٤.

(١٣٠) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٨، ص ٨٦. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٢، ص ٢٢٩. جمعة، **نساء أهل البيت**، ص ٢٠٥.

(١٣١) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٨، ص ١٠٠. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٢، ص ٢٠٢. ابن حجر، **الإصابة**، ج٤، ص ٣٠٦. جمعة، **نساء أهل البيت**، ص ٣٦٦.

وقع خاص على أهل المدينة نظرًا لكونها أخر من مات من أمهات المؤمنين فحزن المسلمون لذلك حزنًا عظيمًا.(١٣٢)

أما أم المؤمنين جويرية بنت الحارث فقد مرضت وماتت سنة خمسين للهجرة، وصلى عليها مروان بن الحكم أمير معاوية على المدينة.(١٣٣)

كما مرضت أم المؤمنين صفية (رضي الله عنها) وماتت سنة خمسين للهجرة وشيع جثمانها عدد من أصحاب النبي ﷺ.(١٣٤)

وقد ورد أن ابن عباس رضي الله عنه لما أُبلغ بوفاة إحدى أمهات المؤمنين سجد لله وكان يرى أن وجودهن بركة وذهابهن آية من آيات الله.(١٣٥)

وأما ميمونة بنت الحارث فكانت في زيارة لمكة، فمرضت فقالت أخرجوني، من مكة، فإني لا أموت بها، إن رسول الله ﷺ أخبرني أني لا أموت بمكة.فحملوها حتى أتوا بها سَرِف فماتت فدفنوها هناك وهو نفس الموضع الذي تزوجها فيه رسول الله ﷺ وقد صلى عليها عبدالله بن

---

(١٣٢) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٨، ص ٩٦. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٢، ص٢٠٢. ابن حجر، **الإصابة**، ج٤، ص ٤٦٠. جمعة، **نساء أهل البيت**، ص ٢٧٠.

(١٣٣) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٨، ص١٢٠. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٢، ص٢٦٢. جمعة، **نساء أهل البيت**، ص ٢٣٨.

(١٣٤) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٨، ص ١٢٨. ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، (تراجم النساء) ص ٩٢. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٢، ص ٢٣٧.ابن حجر، **الإصابة**، ج ٤، ص ٣٤٨. جمعة، **نساء أهل البيت**، ص ٣٦٦.

(١٣٥) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ٨، ص١٤٠. جمعة، **نساء أهل البيت**، ص ٣٩٩.

عباس رضي الله عنه مع عدد من أقاربها وبعض أهل مكة(١٣٦) فلما بلغ خبر موتها عائشة (رضي الله عنها) قالت عنها" ذهبت والله ميمونة أما إنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم.(١٣٧)

ولاشك أن مجتمع المدينة كان يتأثر أيما تأثر عند فقد أي من أمهات المؤمنين ويمكننا تصور ذلك من خلال ما ورد عند ابن سعد عن وفاة عائشة (رضي الله عنها)، عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: (قدم رجل فسأله أبي كيف كان وجد الناس على عائشة فقال كان فيهم وكان قال أما إنه لا يحزن عليها إلا من كانت أمه)(١٣٨)

وقد دفنت أمهات المؤمنين في البقيع في المدينة عدا ميمونة بنت الحارث التي دفنت في موقع بين مكة والمدينة.(١٣٩)

---

(١٣٦) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٨، ص ١٤٠. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٢، ص٢٤٥. جمعة، **نساء أهل البيت**، ص ٤١٨.

(١٣٧) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ٨، ص ١٣٨. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٢، ص٢٤٤. ابن حجر، **الإصابة**، ج ٤، ص ٢٦٦. الصالحي، **أزواج النبي ﷺ**، ص ٢٠٥. جمعة، **نساء أهل البيت**، ص ٤١٤.

(١٣٨) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٨، ص ٧٨.

(١٣٩) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٨، ص١٤٠. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٢، ص٢٤٥.

الخاتمة

من خلال البحث تبين إدراك سبع من أمهات المؤمنين للحياة في خلافة معاوية بن أبي سفيان ﷺ واتضح أن منهن من عاشت خمس سنوات من خلافته، ومنهن من بقيت طيلة خلافته، والبقية عشن معظم فترة حكمه، كما تبين إقامتهن جميعًا في المدينة المنورة واستقرارهن بها، كما اتضح لنا أثرهن في القيادة الاجتماعية لذلك المجتمع، بحيث كان لهن ما لم يكن للأمراء والقواد من النفوذ والمكانة الاجتماعية، كما اشتهرن في تلك الفترة بعلاقاتهن المميزة بكل فئات المجتمع وشرائحه، وكن موضع احترام وتقدير العامة والخاصة في ذلك المجتمع ومن يصل للمدينة من مختلف الأمصار الإسلامية، وقد شاركن في تعليم المجتمع وتوجيهه، وفي خدمته، كما شاركن في مناسبات الناس الاجتماعية الخاصة والعامة، وكانت لهن علاقاتهن العائلية المميزة، وأثرن في جميع الفئات الاجتماعية وخصوصًا بين النساء، وقد تميزت حياتهن بحب الخير والعمل من أجله، واتضح من البحث أنهن نذرن حياتهن للمسلمين عامة ولأهل المدينة خاصة.

وقد تناقص عددهن حتى لحقت أخراهن بالله ففقد المجتمع المدني بيت النبوة بفقد آخر زوجاته ﷺ، فأحس الناس في المدينة بهذا الفراق وتبين لهم عظم خسارة مجتمع المدينة بفقدهن.

وهذا البحث يؤكد أهمية ما يتعلق برسول الله ﷺ من أخبار وما يرتبط بحياته وحياة أهل بيته ﷺ، ويدعو لمزيد من البحث في حياة أمهات المؤمنين في حياة رسول الله ﷺ وبعد موته.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم:

ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت: ٦٣٠هـ).

- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

- **الكامل في التاريخ**، دار صادر، بيروت، ١٣٨٥هـ.

البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (١٩٤ ـ ٢٥٦هـ).

- **صحيح البخاري**، الرياض، دار إشبيلياء، ١٤١٨هـ.

البلاذري: أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر.

- **فتوح البلدان**، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ.

الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩ ـ ٢٧٩هـ).

- **الجامع الصحيح (سنن الترمذي)**، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، (ب.ت).

جمعة: أحمد خليل.

- **نساء أهل البيت**، ط٢، دمشق، دار اليمامة، ١٩٩٦م.

ابن حجر: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ).

- **الإصابة في تمييز الصحابة**، ط١، القاهرة مطبعة السعادة، ١٣٢٨هـ.

- **تهذيب التهذيب**، حيدر أباد، الهند، ١٣٢٨هـ.

الحجيلي: عبدالله بن محمد.

- **الأوقاف النبوية ووقفيات بعض الصحابة الكرام** (دراسة فقهية تاريخية وثائقية)، بحث مقدم لندوة (المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية) المدينة المنورة، محرم ١٤٢٠هـ.

ابن حنبل: الإمام أبي عبدالله أحمد بن محمد (ت: ٢٤١هـ).

- **المسند**، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٩٨هـ.

- **فضائل الصحابة**، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، ط١، مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، ١٤٠٣هـ.

خليفة بن خياط: بن أبي هبيرة العصفري.

- **تاريخه**، تحقيق أكرم العمري، ط٢، بيروت، دار القلم ١٣٩٧هـ.

الدارمي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن (ت: ٢٥٥هـ).

- **سنن الدارمي**، دار إحياء السنة، (دون مكان أو تاريخ).

الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت : ٧٤٨هـ)

- **سير أعلام النبلاء**، ط١ ، بيروت مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ.

ابن سعد : محمد بن منيع الهاشمي ، مولاهم ـ كاتب الواقدي ـ (ت : ٢٣٠هـ).

- **الطبقات الكبرى** ، بيروت ، دار صادر ، (ب.ت).

ابن سيد الناس : أبو محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله (ت : ٦٧١هـ)

- **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، بيروت دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٠هـ.

السيوطي : الحافظ جلال الدين (ت : ٩١١هـ).

- **مسانيد أمهات المؤمنين**، تحقيق محمد غوث الندوي، ط١ ، الدار السلفية ، بمباي الهند ١٤٠٣هـ.

الصالحي الشامي : محمد بن يوسف (ت : ٩٤٢هـ).

- **أزواج النبي** ﷺ ، تحقيق وتخريج محمد نظام الدين الفتيح ، دمشق دار ابن كثير، ١٤١٣هـ .

الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت : ٣١٠هـ).

- **تاريخ الأمم والملوك**، بيروت ، دار الفكر ، (د.ت).

- **جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبري)**، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ.

عبد الرزاق: أبو بكر بن همام الصنعاني (١٢٦ ـ ٢١١هـ).

- **المصنف**، تحقيق حبيب عبد الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ.

عبد الغني: محمد الياس.

- **بيوت الصحابة حول المسجد النبوي الشريف**، ط٢، مركز طيبة للطباعة، المدينة ١٤٠٧هـ.

ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن (٤٩٩ ـ٥٧١هـ).

- **تاريخ دمشق**، تراجم النساء، تحقيق سكينة الشهابي، ط١، دمشق ١٩٨٢م.

الفنيسان: سعود بن عبدالله.

- **مرويات أم المؤمنين عائشة** (رضي الله عنها) **في التفسير**، مكتبة التوبة، الرياض، ١٤٠٣هـ.

ابن العماد الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي (ت: ١٠٨٩هـ)

- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ط٢، دار المسيرة، بيروت، ١٣٩٩هـ.

ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت: ٧٧٤هـ).

- **البداية والنهاية**، ط٣، مكتبة المعارف بيروت ١٩٧٨م.

ابن ماجه: الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧ ـ ٢٧٥هـ).

- **سنن ابن ماجه**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت (د.ت).

مجموعة من العلماء.

- **المعجم الوسيط**، إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة، طبعته المكتبة الإسلامية، استانبول، د. ت.

مسلم: الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ).

- **الجامع الصحيح**، (صحيح مسلم)، دار الافاق، بيروت (ب.ت).

أبو نعيم الأصبهاني: أحمد بن عبدالله (ت: ٤٣٠هـ).

- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي (٢١٤ ـ ٣٠٣هـ).

- **السنن الكبرى**، تحقيق عبدالغفار البنداري وسيد حسن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.

ابن هشام: أبو محمد عبد الملك المعافري (ت: ٢١٣هـ).

- **السيرة النبوية**، تعليق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة شقرون، القاهرة (د.ت).

الهيثمي: علي بن أبي بكر (ت: ٨٠٧هـ).

- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، دار الريان، القاهرة، ١٤٠٧هـ.

ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله (ت: ٦٢٦هـ).

- **معجم البلدان**، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان (ب.ت).

البحث الرابع

استخدامات الحاسب الآلي

في علم السيرة النبوية

مقـدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ (٢١) [سورة الأحزاب].

وصدق الله العظيم القائل: ﴿**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾(٤) [سورة الشرح].

فقد لفت نظري تعدد البرامج والأعمال الحاسوبية التي تتعرض لحياة الرسول ﷺ سواء منها ما يحتوي على معلومات علمية من مصادر أصلية، أو ما يرتبط ببرامج تعليمية وتوضيحية، تخدم السيرة النبوية مباشرة وغير مباشرة، وكذلك وجود مواقع على الشبكة العالمية الحاسوبية تخدم سيرة الرسول ﷺ باللغات المختلفة وعلى رأسها العربية والإنجليزية، وغيرها من اللغات.

ولست من أهل الاختصاص في الحاسب وبرامجه، لكني طُويلب علم في سيرة النبي ﷺ ولي بعض المساهمات فيها، وممارس بسيط في استخدام الحاسب الآلي، ومحاول لمتابعة ما يستجد من برامج مرتبطة بالسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي.

وقد بذلت جهداً في المتابعة والإطلاع على ما ينزل في أسواق الحاسب من

برامج تخدم السيرة النبوية، كما حاولت اقتناء واستخدام ما يقع في يدي منها، واشتغلت في بعض الأحيان بالبحث في مواقع الشبكة العالمية الحاسوبية عن مواقع تخدم سيرة النبي ﷺ باللغتين العربية والإنجليزية، وباعي في هذا الأمر قصير لكنني دونت هذا البحث بما وقع في يدي من ذلك فليس هذا بحثًا حصريًا شموليًا، لكنه بحث لما توفر في يدي بعد جهد معقول ومحدث حين أعداد البحث، ومع هذا فإن المستجدات كثيرة سواء في المواقع أو البرامج وغير ذلك مما في علم الحاسب، فقد يكون فاتني أشياء لم تقع بيدي.

ولاشك أن هناك من اشتغل في دراسة ما ينزل في الأسواق من برامج تراثية، أو ما يظهر في شبكة الإنترنت من ومواقع وهذه الأبحاث لها مكانتها الخاصة.

وقد ظهرت بعض الأبحاث التي تتعرض لتلك البرامج ذات العلاقة بالتراث من جانب اقتصادي، ومنها ما يتعرض لها من جانب علمي تحليلي.

ومن تلك الأبحاث التي اطلعت عليها بحث بعنوان (**السلع المعلوماتية: حالة برامج كتب التراث الإسلامية**) للدكتور محمد بن إبراهيم السحيباني، الأستاذ المساعد بقسم الاقتصاد بجامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، وقد أهداه لي مشكورًا فاطلعت عليه وأفدت منه.

ولم أقف على بحوث محددة خاصة بسيرة الرسول ﷺ وما يتصل بها من برامج.

ومن المعروف أن سيرة الرسول ﷺ تعني هيأته وطريقته ومسار حياته وما يرتبط بها من أحداث وما تدل عليه من فقه ومعاني، وتشمل الفترة الزمنية التي عاشها رسول الله ﷺ بدأ من الولادة حتى الوفاة، وتشمل مقدمات تلك الفترة وما أعقبها من أحداث مباشرة.

وقد حظيت تلك السيرة بدراسات خاصة عرفت بعلم السيرة والمغازي.

ولاشك أن سيرة النبي ﷺ قد استأثرت باهتمام المسلمين منذ زمن الرسول ﷺ حتى وقتنا الحاضر، كما اهتم بها الآخرون من غير المسلمين بشتى اللغات ومن مختلف الثقافات والأجناس، وسوف يستمر الاهتمام بها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقد تنوعت عبر العصور قنوات استيعاب المعلومات عمومًا ومنها ما يرتبط بعلوم السيرة النبوية المؤلفة فيها وما ييسر الوصول للمعلومة الخاصة بها، كما زادت في وقتنا الحاضر بعض وسائل الإيضاح من خرائط وصور ومقالات حديثة ربطت السيرة بالواقع المعاصر.

ويشير أحد الباحثين إلى التطور في حفظ المعلومات حتى عصر الحاسب بقوله: (ففي البداية كانت المعلومات تستهلك في وقتها، أو تحفظ في الصدور، حيث إن خزنها في أي وسيط خارجي كان غير ممكن، ومع مرور

الوقت اكتشف الإنسان الكتابة كوسيلة لخزن المعلومات. وقد تطورت عملية خزن المعلومات بشكل تدريجي من الشكل البدائي ـ تدوينها على الصخور أو رقاع الجلود ـ إلى تدوينها على الورق بواسطة النساخ، وبعد الثورة الصناعية أمكن خزن المعلومات على الورق بواسطة المطابع الآلية، أو الأشرطة السمعية والبصرية فانتشرت الكتب والجرائد والأشرطة والأفلام. وبعد التطور في تقنية الحاسب الآلي في جانبي ـ البرامج والعتاد ـ أصبح بالإمكان حفظ جميع أنواع المعلومات في شكل إلكتروني يجعل من السهل إعادة إنتاجها ـ وهو ما نعنيه بالسلع المعلوماتية ـ. وتتميز السلع المعلوماتية بأن إعادة إنتاجها أقل تكلفة وأكثر دقة من مثيلتها العادية. بالإضافة إلى ذلك فقد أدى تطور تقنية شبكة الإنترنت إلي سهولة توزيع السلع المعلوماتية، حيث تمكن هذه التقنية من إرسالها في وقت واحد إلى عدد كبير من الأفراد في أي مكان من العالم.[(١)]

وبالتالي فإن أمة محمد ﷺ وهي أمة الخير وخير أمة أخرجت للناس قد استوعبت هذا التطور عبر العصور فكانت الكتابة في علم السيرة والتي لا تزال مخطوطاتها تملأ أرفف المكتبات في العالم.

وتابعت هذا التطور الحديث في أوعية المعلومات فاهتمت بسيرة النبي ﷺ

---

(١) السحيباني، محمد بن إبراهيم، **السلع المعلوماتية** (حالة برامج كتب التراث الإسلامية)، ص١.

وبخدمتها من خلال الحاسب الآلي وما يرتبط به من برامج مختلفة تخدم طالب العلم ودارس سيرة الرسول ﷺ .

و حينما بحثت عبر شبكة الإنترنت عن ماله علاقة بسيرة رسول الله ﷺ وجدت ما يزيد على (٥٠٠٠٠٠) خمسمائة ألف عنوان وموقع تخدم سيرة رسول الله ﷺ ، ناهيك عن البرامج الخاصة التي تخرج يومياً وبأشكال مختلفة ومستويات متعددة، مجملة أو مجزئة.

ولاشك أن هذا الكم الهائل يحتاج منا لدراسات وتمحيص وتصحيح واهتمام وتزكية لبعضها ودعم لما يستحق ونفح ودفاع عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم بنفس سلاح المهاجمين وأقوى منه، وهذا البحث يقدم جزء من القضية ويثير شيء من الدعوة لمتابعة البحث فيما يخدم سيرة رسول الله ﷺ في مجال الحاسب وما يتصل به.

بداية استخدام الحاسب في السيرة:

فيما يتعلق باستخدامات الحاسب في السيرة النبوية كانت البدايات الأولى العناية بمصادر السيرة النبوية كجزء من مصادر التراث الإسلامي ووضعها في قواعد وأوعية معلومات مختلفة تيسيرًا للوصول إ ليها.

و(تعتبر برامج كتب التراث الإسلامي من السلع المعلوماتية، حيث تحتوي على نصوص كتب التراث، وبرنامج يساعد المستخدم على البحث، والنسخ، والطباعة وغيرها من المزايا الإضافية التي تختلف من منتج لآخر.

وكسلعة معلوماتية فإن إنتاج النسخة الأولى من كل برنامج تتطلب تحمل تكاليف كبيرة تتمثل في إدخال نصوص كتب التراث، وكتابة البرنامج الذي يقوم بمهام العرض والبحث والطباعة وغير ذلك من الخدمات البحثية الإضافية).(٢)

كما ظهرت بعض البرامج التعليمية البسيطة لشرح بعض أحداث السيرة للشباب ومنها ما يتعلق بغزوات الرسول ﷺ، وبعض الحوادث الأخرى المتعلقة بالسيرة النبوية.

وفي الآونة الأخيرة انتشر في العالم وعبر الحاسب الآلي وغيره استخدام برامج الوسائط المتعددة (*multimedia*) في إنتاج مواد إعلامية وتاريخية مختلفة، وقد تم إنتاج بعض البرامج في السيرة النبوية باللغتين العربية والإنجليزية وبغيرها وطرحها وتداولها بين المهتمين.

الحاسب والعلوم المساعدة للسيرة:

من المعروف أن استخدم الحاسب انتشر في العالم بين مختلف الشعوب والمجتمعات المتعلمة، والبحث في سيرة الرسول ﷺ يتطلب أحيانا التعرض لقضايا تاريخية علمية ذات صلة بأمم أخرى ومجتمعات مختلفة عاصرت الرسول ﷺ، كالفرس والروم والقبط والحبشة وغيرها ممن عاصر زمن الرسول ﷺ، وبعض هذه الأمم التي لم تدخل في الإسلام لا يزال لها

---

(٢) السحيباني، **السلع المعلوماتية** (حالة برامج كتب التراث الإسلامية)، ص١٠.

امتداد حضاري وبقايا حضارات لها قواعد معلوماتها المختلفة وتعالج تاريخها في الفترة المعاصرة لرسول الله ﷺ من وجهة نظرها وبالتالي فأن هذا الجانب يمكن أن يخدم من خلال ما صدر لدى تلك الأمم، ذات التطور التقني.

كما أن من المعروف وجود العديد من الموسوعات المكتبية واللغوية والعلمية المختلفة التي أدخلت في برامج الحاسب الآلي يمكن أن تخدم الباحث في السيرة النبوية وتعينه على استكمالها والإفادة منها.

كما توجد الكثير من الموسوعات الجغرافية والأطالس التي يمكن أن تخدم الباحث في السيرة النبوية كما أن هناك بعض الخرائط التي صورت عن طريق الاستشعار عن بعد والتي يمكن أن تكون واقعية أكثر من الخرائط الأخرى حين يتم ربطها بأحداث السيرة النبوية.

وأما استخدام البريد الإلكتروني عمومًا فيفيد طلاب العلم الشرعي ومنهم المتخصص والمستفيد من السيرة النبوية عن طريق تبادل المعلومات والصور والخرائط بصورة أسرع وأكثر دقة ومرونة.

أهم استخدامات الحاسب في علم السيرة النبوية:

ويمكن إيجازها إجمالًا بما يلي:

أولًا: الأقراص المدمجة. (ومعظمها باللغة العربية).

ثانيًا: مواقع الإنترنت.

١) اللغة العربية

٢) اللغات الأخرى.

ثالثًا: الخرائط والرسومات.

البرامج المساعدة في العرض والشرح.

أولًا: الأقراص المدمجة:

إن أي بحث حول الأقراص المدمجة سيعرض الباحث لصعوبة الحكم عليها والتمييز بينها وتزكية بعض الأعمال على حساب البعض الأخر وفي هذا خطورة فقد يكون الحكم ناقصًا أو الحاكم محدود الإطلاع فأته الوصول إلى بعض البرامج لسبب أو آخر، كما أن الحكم قد يعطي دعاية لبعض البرامج ولمنتجين لا يستحقونها وبالتالي يمكن أن تستغل في التسويق والتجارة، بدون حق وعلى حساب البرامج الأخرى.

ومن المعروف أن سوق البرامج مفتوح ففي كل يوم تخرج برامج جديدة ومختلفة، وأحياناُ يعاد إنتاج نفس البرامج بطريقة أو أخرى بصور أو مسميات مختلفة، ولاشك أن الحصر مستحيل، والمتابعة لما يستجد أكثر صعوبة، ولذلك فالحكم على هذه البرامج مرتبط بزمن البحث، وما عرف قبله.

وقد يسر الله لي في الآونة الأخيرة القيام بجولات مختلفة على المحلات المتخصصة ببيع برامج الحاسب الآلي التي تخدم كتب التراث الإسلامي وغيرها في أكثر من مدينة وفي مدينة الرياض بالذات والتي تعد في تصوري أهم سوق في العالم الإسلامي لهذه البرامج وخلال تلك الجولات وقعت يدي على بعض البرامج و وتعاملت مع العديد منها ومن أهمها :ـ

١) مكتبة السيرة النبوية (الإصدار رقم ١,٥ لعام ١٤٢٠هـ ١٩٩٩) من إصدار الخطيب لإنتاج البرامج (الأردن ـ عمان) ويحتوي البرنامج على أكثر من ستين مصدرًا من مصادر السيرة الأصلية.

٢) الجامع لأوصاف الرسول ﷺ وهو من إنتاج (أراب سوفت) بالقاهرة ويقدم أكثر من ١٨٠٠ نص من النصوص التي تناولت وصف الرسول ﷺ وخلقه وعباداته وكثير من شؤونه.

٣) مسابقة السيرة النبوية (الإصدار الأول) ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م من إصدار الخطيب لإنتاج البرامج (الأردن ـ عمان) ويحتوي البرنامج على مسابقة وأسئلة خاصة بالسيرة النبوية مع إمكانية التقييم المباشر للمتسابقين عبر البرنامج وهو يساهم في زيادة معلومات المتسابقين في السيرة النبوية، وخصوصًا الناشئين منهم، و يحفز على التعلم غير المباشر وينمي التنافس بين المتسابقين، في معلومات قيمة في سيرة المصطفى ﷺ .

٤) أمهات المؤمنين، من إصدار الخطيب لإنتاج البرامج (الأردن ـ عمان). وهو برنامج تعليمي بالصوت والنص خاص بالشباب والشابات مزود ببعض الأشكال والتقسيمات الفنية، إلا أن معلوماته مركزة ومحدودة.

٥) معارك العرب والفتوحات الإسلامية من إصدار الخطيب لإنتاج البرامج (الأردن ـ عمان) ويحتوي البرنامج على معلومات وخرائط عن المعارك ومنها غزوات الرسول ﷺ، وقد يستفيد منه الناشئة أكثر من غيرهم.

٦) السيرة النبوية للبيت المسلم من إصدار الخطيب لإنتاج البرامج (الأردن ـ عمان) ويحتوي البرنامج على ثمانية مصادر أساسية في السيرة النبوية وهو محدود المصادر مقارنة بغيره من البرامج الأخرى.

٧) الصحابة ضمن المكتبة الإلكترونية للبيت المسلم من إصدار الخطيب لإنتاج البرامج (الأردن ـ عمان)الإصدار ٢,٠ لسنة ١٤٢٠هـ٢٠٠٠م ويحتوي البرنامج على النصوص الكاملة لأكثر من تسعة مصادر من مصادر التراجم لأصحاب النبي ﷺ.

٨) موسوعة السيرة النبوية. من إنتاج شركة حرف العالمية، لسنة ٢٠٠٠م ويحتوي البرنامج على خمسة كتب أصلية من مصادر السيرة النبوية، وبهذا يعد البرنامج من أقل البرامج احتواء على المصادر الأصلية في السيرة.

كما يحتوي البرنامج على مجموعة من التقسيمات والجداول والمعلومات العامة والصور والخرائط المختلفة، التي أعدت خصيصًا لهذا البرنامج، وقد وقعت في يدي نسخة من إهداء مؤسسة الشيخ سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية.

٩) الغزوات النبوية، من إنتاج الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض، وهو برنامج توضيحي خاص بالناشئة، يمكن أن يساهم في تعليمهم بعض الجوانب من سيرة الرسول ﷺ وخصوصًا ما يرتبط بالغزوات.

برامج أخرى تخدم السيرة النبوية:

تتوفر في الأسواق العديد من برامج الحاسب التي تخدم الباحثين في السيرة النبوية وإن كان كثير منها مدموج في البرامج الخاصة بالسيرة إلا أنه لابد من الحديث عنها على استقلالية.

١) البرامج المتخصصة في القرآن وعلومه: وتتواجد حاليًا في الأسواق العديد من البرامج المختلفة في القرآن وعلومه، ويأتي في مقدمتها ما أنتج منذ زمن من قبل شركة وصخر، وحرف والخطيب والعريس وغيرها من البرامج التي تخدم الباحث وخصوصًا ما تيسر من بحث في القرآن الكريم، وتفسير آياته ومعرفة أسباب النزول وأزمنته وربط الآيات بأحداث السيرة، و نقل للآيات بطريقة صحيحة وسليمة من الأخطاء وبخط جميل

ومشكل، كما تتيح الاختيار بين الرسم القرآني والرسم الإملائي، ولا شك أن شركة صخر قد سبقت الشركات الأخرى في هذا المجال.

٢) برامج الحديث النبوي الشريف: وهي برامج خاصة بخدمة الحديث النبوي الشريف ويأتي على رأسها برامج صخر وحرف والخطيب والعريس وغيرها من البرامج الموسوعية الخاصة بخدمة الحديث النبوي الشريف، وهذه البرامج تيسر عملية البحث عن النصوص في الأحاديث النبوية، وفي مصادرها المختلفة، والمقارنة بينها، ومعرفة أسانيدها، ورواتها وتراجمهم والحكم عليهم، وعلى السند وكل ما يرتبط بعملية التخريج ودراسة الأسانيد، وكذلك شرح تلك الأحاديث كما تيسر على الباحث نقلها بدقة ودون أخطاء مطبعية وإملائية وبخطوط مميزة للحديث النبوي، وتتفاوت هذه البرامج في الإمكانيات والدقة وسهولة الاستفادة منها من شركة لأخرى وإن تشابهت في المسميات، حيث تميزت البرامج المنتجة من الشركات الكبرى على غيرها.

ولاشك أن كتب الحديث حوت أبوابًا خاصة في سيرة الرسول ﷺ وبالتالي فإن دارس السيرة النبوية يستفيد كثيرًا من تلك البرامج، مع العلم أن كثيراً من أبواب السيرة في كتب الحديث أدرجت في برامج السيرة التي سبق الحديث عنها، ومع ذلك فإن المتخصصين في السيرة لا غنى لهم عن

البرامج الخاصة بالحديث، لسعتها ووجود أحداث في ثنايا أبوابها المختلفة يمكن أن يستفيد منها الباحث في سيرة الرسول.

٣) برامج التاريخ والحضارة: تنافست العديد من الشركات والمؤسسات على إنتاج برامج خاصة بالتاريخ الإسلامي، وعماد تلك البرامج جمع المصادر التاريخية الأصلية في برامج خاصة بها، وقد تفاوتت تلك البرامج من حيث محتوياتها من المصادر الأصلية، ومن حيث البرامج المساعدة داخلها في البحث والوصول إلى المعلومة وكيفية معالجتها.

٤) ويعد برنامج (مكتبة التاريخ والحضارة) الإصدار رقم ١,٥ من إنتاج الخطيب في عمان بالأردن من أكثر البرامج الهامة التي تحوي موسوعات ومصادر تاريخية ضخمة في التاريخ الإسلامي وتحتوي تلك المصادر المدرجة على أقسام كبيرة عن حياة الرسول ﷺ وعصره.

٥) ومنها ما أنتجته مؤسسة العريس، إلا أن محتوياته من المصادر لا ترقى لمستوى برنامج الخطيب من حيث عدد المصادر، كما أن التعامل مع البرنامج فيه صعوبة للباحثين.

٦) وكذلك يأتي برنامج تاريخ الإسلام، من إنتاج شركة حرف لسنة ٢٠٠٠م وزعته مؤسسة الشيخ سليمان الراجحي الخيرية، ضمن هذه البرامج المتخصصة في التاريخ والتي يمكن أن، يستفيد منه الباحث في السيرة النبوية، إلا أن مصادره محدودة مقارنة ببعض البرامج الأخرى.

٧) برنامج التاريخ من مكتبة البيت المسلم الإصدار ٢.٥ من إنتاج مركز التراث (الخطيب) في الأردن عمان، ويظهر أنه مختصر من برنامجهم العام في التاريخ والحضارة الذي أشرنا أليه سابقًا، أنتج بشكل جديد ومختصر وبمصادر محدودة، لغرض التسويق ضمن حزمة برامج أخرى..

٨) برنامج التاريخ الإسلامي أنتجته مؤسسة عبد اللطيف للمعلومات سنة ١٤١٩هـ ١٩٩٩م، ويحوي بعض المصادر وهي قليلة مقارنة بغيرها، كما يصعب التعامل معه في محرك البرنامج.

٩) برامج التراجم والأعلام: وتتوافر في الأسواق مجموعة من البرامج الخاصة بالتراجم والأعلام سواء منها ما يخص كتابًا منفردًا بعينه، أو ما يحتوي على مجموعة من الكتب المختلفة في التراجم، وتيسر تلك البرامج سرعة الوصول إلى الشخص المطلوب والمعلومة المستهدفة وبعض هذه الكتب الخاصة بالتراجم والأعلام مدمجة في برامج السيرة وبرامج التاريخ وبعض برامج الحديث والموسوعات العامة، ولذلك لن نتحدث عنها بالتفصيل ونضرب أمثلة لبعض ما أفرد منها في برامج مستقلة ومنها على سبيل المثال:ـ

أ ـ برنامج تاريخ دمشق لابن عساكر الإصدار الأول سنة ١٤١٩هـ من إنتاج الخطيب بعمان ويحتوي على جميع المجلدات والتراجم الخاصة بهذا الكتاب والذي يحوي تراجم موسعة وروايات مميزة لعدد كبير من الصحابة

رضوان الله عليهم ترتبط بأحداث وشخصيات هامة في السيرة النبوية يسهل تتبعها من خلال البرنامج، وقد لا توجد في غيره من المصادر، كما أن البحث عنها في الكتاب المطبوع أصعب لسعته، وتفرق تلك الروايات وصعوبة توقع مظانها.

ب ـ برنامج سير أعلام النبلاء إصدار سنة ٢٠٠٠م وقد أنتجته شركة حرف للحاسب الآلي، ويحتوي البرنامج على جميع المجلدات والتراجم الخاصة بهذا الكتاب والذي يحوي تراجم موسعة وروايات مميزة لعدد كبير من الصحابة رضوان الله عليهم، وقد تعاملت مع النسخة التي وزعتها مؤسسة الشيخ سليمان الراجحي الخيرية، وهذا المصدر ثري جدًا في تراجم الأشخاص ومنهم الصحابة الذين ارتبطت حياتهم بحياة الرسول ﷺ وشهدوا الكثير من وقائع السيرة، وإن كان المؤلف متأخرًا إلا أنه جمع الكثير من الروايات المتناثرة عند غيره.

١٠) برامج الأدب: ويأتي في مقدمة ذلك برنامج مكتبة الأدب العربي (الإصدار ١,٠) لسنة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، من إنتاج الخطيب بعمان والذي يحتوي على كم هائل من مصادر الأدب العربي المختلفة، وتراثه العظيم، ومنها ما يرتبط بعصر الرسالة وبشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم.

١١) برامج المعاجم: وهي برامج متنوعة خاصة بالمعاجم اللغوية، والجغرافية، وغيرها إلا أن البرامج العامة في السيرة والتاريخ وغيرها

صارت تحتوي على تلك المعاجم وبالتالي أمكن الاستغناء عنها كبرامج مستقلة، حيث وجدت في البرامج الخاصة مدمجة فيها.

١٢) الأطالس الجغرافية: وما يتواجد منها في اللغة العربية محدود ـ حسب إطلاعي ـ وتتوافر في لغات عالمية مثل اللغة الإنجليزية وغيرها وهي أكثر دقة فيما يتعلق بمواضع جغرافية تخدم تاريخ الشرق والغرب إلا أن ما يخدم منها السيرة النبوية يعد شبه معدوم إلا في مجال الخرائط العامة، وغير المفصلة، ولا يزال المجال فيها مفتوحاً لمنتجي البرامج العلمية بالغة العربية، كما أنه يمكن إنتاج أطالس جديدة ودقيقة، تخدم التاريخ الإسلامي، عمومًا ويمكن من خلالها التركيز على السيرة النبوية على وجه الخصوص، ولعل النية قائمة لدى بعض الجهات العلمية لإنتاج هذا النوع من الأطالس الذي سيقدم خدمة هامة لطالبي العلم، ومعرفة دقيقة للمواقع وارتباطها بالأحداث.

١٣) الموسوعات العلمية العامة: ويأتي في مقدمة ذلك فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية التي أنتجتها شركة حرف، إصدار سنة ٢٠٠٠م، من توزيع مؤسسة الشيخ سليمان الراجحي الخيرية، وكذلك مجموع مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، وكذلك مؤلفات تلميذه ابن القيم من الإصدار الأول ١٤١٩هـ ١٩٩٩م من إنتاج شركة الخطيب بعمان.

كما أن جامع الفقه الإسلامي إصدار سنة ٢٠٠٠م الذي أنتجته شرطة حرف يعد من الموسوعات العلمية العامة التي تخدم الباحث في سيرة النبي ﷺ وقد وزعته مؤسسة الشيخ سليمان الراجحي الخيرية.

كما توجد موسوعات مختلفة لطالب العلم، ومؤيات وألفيات من مجامع الكتب يصعب حصرها، إلا أن ما ورد فيها إجمالًا يمكن أن يكون مفصلًا في مواضع أخرى مما ذكر من أقسام البرامج.

١٤) الموسوعات السياسية: تعتمد المؤلفات في السياسة الشرعية على الأدلة المقتبسة من سنن الرسول ﷺ ويأتي في مقدمة ذلك مادون من أحداث سيرته ﷺ.

وقد أهتم الفقهاء المسلمون عبر العصور بهذا اللون من الفقه والتشريع والأحكام فيما عرف عندهم بالأحكام السلطانية، وقد جمع عدد كبير من كتب السياسة الشرعية والأحكام السلطانية في الموسوعة التي أصدرها مركز التراث(الخطيب) بالأردن بعنوان مكتبة التراث السياسي واحتوى على قرابة الأربعين مصدرًا من مصادر السياسة الشرعية، وفي هذا الجمع تيسير للباحثين في اقتناء هذه المصادر العظيمة في شريط واحد بل وفي التعريف بها وبهذا العلم الشرعي الهام الذي تجاهله الناس عامة في زمن هم أحوج ما يكونون إليه، وإلى تطبيقه، وبالتالي يمكن أن تخدم هذه الموسوعات ما يتعلق بسياسة الرسول ﷺ لأحوال الأمة والدولة الإسلامية،

وعموم فقه السيرة النبوية في الجوانب القيادية والإدارية وغيرها واستنتاجات الفقهاء من تلك الحوادث، ولاشك أن استخدام البرنامج ييسر الوصول إلى الشواهد المختلفة في هذا الجانب.

أهم الإمكانات المتاحة في أقراص البرامج:

١) احتوائها على كم هائل من المصادر والمعلومات.

٢) سهولة حملها والتنقل بها من مكان الأخر بكل يسر وسهولة، بحيث يمكن أن يحمل الباحث في (دسكات) محددة آلاف المجدات توضع في الجيب، توفر له المكان والتكلفة وسرعة الوصول إليها.

٣) سهولة البحث فيها والوصول إلى المعلومة المطلوبة في وقت قياسي، وتتفاوت هذه الخدمة وإمكاناتها في البرامج من شركة لأخرى، حيث برزت الشركات الكبرى وفاقت غيرها في الإمكانيات المتاحة في التعامل مع الأقراص، وما تحتويه من مخزون معلوماتي.

٤) سهولة اقتطاع أي نص بعد تحديده ونقله إلى الحافظة والاستفادة منه في أثناء كتابة الأبحاث، أو العرض في المحاضرات أو المراسلات وغيرها، مع الحذر ومراجعة النص عند الحاجة لوجود بعض الأخطاء الإملائية في عملية إدخال المصادر لدى بعض البرامج.

٥) سهولة تخزين ملفات خاصة من البرنامج على القرص للرجوع لها عند الحاجة.

٦) إمكانية المقارنة بين النصوص على الشاشة، واستخدام أحجام وألوان مختلفة من الحروف حسب ما يريح الشخص القارئ.

٧) سهولة الطباعة مباشرة من تلك البرامج على الطابعة والاستفادة منها في لحظات معدودة كنصوص مطبوعة وجاهزة والاستغناء عن إدخالها في معالجة النصوص.

٨) إمكانية الإطلاع على كتاب أو كتب محددة بذاتها وتصفحها من خلال البرنامج.

كما أن هناك فوائد أخرى متعددة يمكن أن يصل لها الممارسون والمستخدمون لهذه البرامج.

ثانيًا: مواقع الإنترنت المتخصصة في السيرة النبوية:

حينما يبحث الإنسان عبر الشبكة العنكبوتية عن ماله علاقة برسول الله ﷺ وبحياته وسيرته يعجب من الكم الهائل من المواقع ذات الصلة بالموضوع سواء منها مواقع مميزة تابعة لجمعيات علمية أو مكتبات ومراكز بحث، أو مواقع أخرى خاصة بالأفراد وحتى الطلاب، والصغار منهم استحدثوها للتعريف بحياة الرسول ﷺ وسيرته لدرجة أن الباحث في الشبكة العنكبوتية عن طريق أي من محركات البحث سيعثر على ما يزيد عن (٥٠٠٠٠٠) خمسمائة ألف عنوان ذا صلة بالموضوع، وهذا يعطينا تصورًا عن حجم ما كتب عن رسول الله ﷺ عبر شبكات الحاسب العالمية.

إن هذا الكم الهائل من المواقع أو الموضوعات يحوي الغث والسمين بل ربما أن بعض هذه المواقع في الأصل معادية للرسول ﷺ ، أو لأصحاب بدع منسوبون للإسلام، لا يلتزمون الحق في معالجة سيرة الرسول ﷺ .

كما أن بعضها الأخر ممن ينافح ويدافع عن رسول الله ﷺ ويسير على سنته وهديه.

ولا شك أن هذه المواقع تحتاج إلى متابعة وتمحيص، ومن المعروف أن الساحة مفتوحة للجميع دون استثناء ولا يستطيع أحد أن يتحكم بما يطرح فيها، سواء في إيجاد المواقع أو الإطلاع عليها، ومن الممكن أن تعالج المواقع الرئيسة منها عن طريق تزكية المناسب منها ووضع الروابط بينها وبين المواقع الإسلامية المميزة والمرتادة بما يدعم المواقع الجيدة ويزيد من الإقبال عليها.

ومن الصعب في مثل هذا البحث دراسة شيء من هذه المواقع، إذا أن الأمر يحتاج إلى مزيد من الدراسات والتنقيح لكن معرفة الجهة التي أسست الموقع ووضعت محتوياته في الغالب يدل على المحتوى لأنهم سيقدمون ما يناسب توجههم واعتقادهم، مع احتمال ورود أخطاء حتى من ذوي الاتجاهات الصحيحة، واحتمال وجود موضوعات جيدة ومميزة عن رسول الله ﷺ حتى عند أصحاب البدع بل وعند غير المسلمين، فشخصية الرسول ﷺ شدت أنظار أحبائه وأعدائه ﷺ ، وما يطرح في هذه المواقع هو صدى

للنتاج العالمي عن شخصية الرسول ﷺ وحياته وسيرته، بكل ما طرح من هذا النتاج سلبيًا أو إيجابيا.

وقد أوردت في ملحقات البحث بعض المواقع الخاصة بسيرة الرسول ﷺ بعض منها مواقع تحتوي على مادة علمية خاصة بالرسول ﷺ ، أو مواقع تسوق لكتب أو مواد إعلامية عن حياة الرسول ﷺ. (٣)

ثالثًا: الخرائط والرسومات والوثائق:

تعد جغرافية السيرة النبوية وما يرتبط بها من الأماكن ذات العلاقة على مستوى بلاد العرب وعلى المستوى العالمي، ذات صلة مباشرة بأحداثها وقد توجه علماء البلدانيات المسلمون بالدراسة والتحقيق لتلك الأماكن، وألفوا فيها مؤلفات خاصة في كثير من الأحيان، وفي الوسائط الحاسوبية الجديدة من التشويق وحسن العرض سواء للخرائط، أو الصور الطبيعية، أو الإيضاحية ما يخدم الدراسيين لعلم السيرة النبوية، بل أن التقنية الحديثة تؤهل الباحث للاطلاع عبر الأقمار الصناعية وعن طريق الحاسب والانترنت مباشرة على مواقع الأحداث، أو ما يرتبط بها من صور، أو وثائق والتي لا يستغني عنها دارس السيرة النبوية ومدرسها، كما أن الوثائق ذات الصلة بموضوعات السيرة يمكن حفظها وعرضها بطرق ميسرة وسهلة تخدم علم السيرة والتاريخ عمومًا، كما أن وسائل العرض

---

(٣) انظر: **الملاحق**، ص ٢٣٢، من هذا البحث.

والتشويق التي تقدم بها المواد التاريخية عبر العروض الحاسوبية يمكن أن تقدم خدمة غالية وجليلة لعلم السيرة النبوية بمستوياته المختلفة.

فوائد استخدام الحاسب في السيرة النبوية:

١) سهولة الحمل حيث يمكن للباحث أن يحمل في دسك واحد يمكن وضعه في جيبه ما يزيد على الخمسمائة مصدر من مصادر السيرة النبوية وبما يزيد على للألف مجلد دون أن يتحمل أي مشقة في ذلك، بل أصبح بإمكان الإنسان حمل قاعدة معلومات صغيرة لا تتعدى حجم الإبهام يستطيع أن يحمل فيها ملايين الصفحات وآلاف المجلدات، دون عناء ويمكن إن يستخدمها مباشرة في أي جهاز كمبيوتر يتيسر له.

٢) تيسير السعر حيث يمكن أن يقتني هذه المصادر الكثيرة التي تعجز المكتبة عن استيعابها بسعر مناسب جدًا في كثير من الأحيان، وخصوصًا في الوقت الحاضر حيث نزلت أسعار العديد من البرامج.

٣) سرعة الوصول إلى المعلومة حيث يمكنه عن طريق البحث الوصول إلى المعلومة المطلوبة بلحظات بسيطة بل والجمع بين المعلومات المتفرقة في مصادر متعددة والإطلاع عليها في وقت واحد على شاشة العرض.

٤) توفير الوقت على الباحث والإطلاع على مواضع دقيقة في أماكن متعددة بأقصر فترة ممكنة.

٥) الوصول إلى أحدث ما كتب في السيرة من مقالات عن طريق الشبكة العنكبوتية الإنترنت، والوصول إلى المجلات العلمية المتخصصة، وطلب مقالات أو موضوعات محددة يمكن أن تصل خلال لحظات عن طريق البريد الإلكتروني.

٦) الإطلاع على ما كتب باللغات الأخرى كالإنجليزية وغيرها عن سيرة الرسول ﷺ عن طريق محركات البحث في الشبكة العنكبوتية العالمية.

٧) إمكانية مشاهدة الخرائط والصورة للمواقع بل وأحيانًا صور حية ومتحركة سواء صور حقيقية جغرافية وغيرها أو صور إيضاحية للتحركات العسكرية وغيرها، وبألوان طبيعية أو مختارة.

٨) إمكانية تكبير ما يتم عرضه عن طريق الحاسب للطلاب والمتعلمين من نصوص أو صور ليشاهدها جمهور أكبر عن طريق أجهزة العرض (الداتا شو).

٩) إمكانية نقل المعلومة وترحيلها عن طريق البريد الإلكتروني من شخص أو من مركز علمي إلى أخر، بسرعة كبيرة وبدقة أكبر وبأشكالها وألوانها المختلفة، وعبر مختلف البلدان والأماكن.

١٠) سهولة طرح المحاضرات والدروس في السيرة النبوية أو غيرها عبر الحاسب إلى مختلف أنحاء العالم والاتصال المباشر بين العالم والمتعلم عن طريق الشبكة العالمية (الإنترنت).

١١) إمكانية الجمع بين المادة العلمية والصور التوضيحية والوسائل المتعددة في التشويق والإيضاح لتعليم سيرة الرسول ﷺ.

سلبيات استخدام الحاسب الآلي في علم السيرة:

١) وجود بعض الأخطاء في إدخال المصادر الأصلية في الأقراص وبالتالي ضرورة مراجعة النص حين الحصول عليه من البرامج مع النصوص الأصلية المطبوعة، والتأكد من صحتها.

٢) الاعتماد في البحث على الحاسب مما يقلل إمكانية التعلم غير المباشر من خلال القراءات العامة التي تهدف للوصول إلى المعلومة.

٣) الوقوع في سلبية بعض البرامج ومحدودية معلوماتها، واستهدافها للعناوين الكبيرة بغض النظر عن مستواها، مما يحير المستخدم والمشترى للبرامج، إن لم يكن عنده من يخدمه من المتخصصين، المطلعين على علوم السيرة وعلى ما يخدمها من برامج الحاسب في وقت واحد.

٤) استغلال مواقع الحاسب من بعض أصحاب البدع، ومن أعداء الإسلام في إعطاء صورة غير صحيحة عن رسول الله ﷺ.

٥) وجود التنافس بين الشركات التجارية في إيجاد البرامج على أقراص مدمجه جعلها تتجاهل أعمال بعضها البعض وتكرر نفس العمل، كما أن بعضها عمد إلى إنتاج جزئي لبرامجه في السيرة قصرها على أعداد محددة من المصادر ونشرها بسعر أقل مع إبقائه لعنوان كبير يخيل

للمشتري أنه لا فرق بينها وبين البرنامج الأخر الأوسع في السيرة، مما يجعل المشتري للبرنامج المحدود الخبرة لا يكتشف هذا الفرق إلا بعد التعامل مع البرنامج.

ورغم ما سبق من سلبيات وما يمكن أن يكتشفه الآخرون إلا أن علم السيرة استفاد كغيره من هذه التقنية الحديثة ووعاء المعلومات المتجدد والقوي و وسائل العرض المصاحبة، والمطلوب هو استمرار الاستفادة من هذا الوعاء وتصحيح الأخطاء والتمييز.

أهم التوصيات

- التوسع في استخدام الحاسب في تعليم السيرة النبوية، وإنتاج المزيد من البرامج التوضيحية المدروسة المبنية على الأخبار الصحيحة والمراعية للقواعد الشرعية التي تربط أبناء الأمة بحياة نبيها محمد ﷺ وخصوصًا الشباب منهم جيل الكمبيوتر، بأساليب راقية تجمع بين التعليم والتشويق.
- متابعة المواقع الخاصة ببرامج السيرة وغيرها من البرامج الشرعية وإبداء الملاحظات عليها بعد دراسة متأنية، وتزكية المناسب منها من قبل جهات معنية مشهود لها بالإنصاف والحكم الشرعي والعلمي الصحيح على مثل هذه المواقع، بحيث تكون تزكيتها ذات قيمة خاصة عند المشتغلين بعلم السيرة وبعلوم الشريعة الأخرى.
- إيجاد أطالس وصور توضيحية وجغرافية لأحداث ووقائع السيرة وربطها بالقرآن الكريم وبالنصوص الواردة في علم السيرة وإخراجها على أقراص ليزر (سي دي) بحيث تفيد المتعلمين والمعلمين لسيرة الرسول ﷺ وبما يسهل عرضها على الأجهزة المختصة في قاعات التدريس والمحاضرات العامة، والتركيز على الصور الجغرافية الحديثة، والاستفادة من صور الأقمار الصناعية وغيرها من خرائط الاستشعار عن بعد، لربط خرائط السيرة النبوية بالواقع المعاصر، والمناطق الحديثة.

- الحرص على إيجاد مواقع على شبكة الإنترنت تخدم سيرة الرسول ﷺ باللغات العالمية المختلفة، وترجمة ما هو قائم فعليًا لما يناسب عقليات أصحاب اللغات الأخرى ربطها بهيئات علمية منا سبة تقوم بتوجيهها وتقويمها باستمرار.
- دعم المؤسسات التعليمية الحكومية والمنظمات التي لا تهدف للربح لتمويل وإعانة إنتاج براج مميزة في السيرة النبوية، أو تشجيع إنتاجها من خلال تقديم الحوافز المعنوية والمادية كالجوائز والمنح. ومن خلال دعم هذه البرامج.(٤)
- إيجاد معايير موحدة لإنتاج برامج التراث الإسلامي ومنها ما يتعلق بسيرة الرسول ﷺ يضمن صحتها وجودة استخدامها.
- الإطلاع على الأساليب العالمية المختلفة في إنتاج برامج التواريخ والسير لدى الأمم الأخرى والاستفادة من أساليب العرض والتشويق والاستفادة منها فيما لا يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية.
- إيجاد أقراص خاصة تخدم المقررات الدراسية للسيرة النبوية في المستويات التعليمية المختلفة، مدعومة بالخرائط والصور التوضيحية.

---

(٤) السحيباني، **السلع المعلوماتية** (حالة برامج كتب التراث الإسلامية)، ص ٢.

الملاحق:

الملحق الأول: أمثلة لبعض المواقع عن سيرة وحياة الرسول ﷺ: [٥]

(مع ملاحظة أن إيرادها هنا لايعني تزكية لها).

http://www.prophetmuhammed.org/prophetmuhammed/

http://www.usc.edu/dept/MSA/fundamentals/prophet/

http://www.islam101.com/rasool/

http://islamicworld.net/links/prophet_muhammad_sites.htm

http://members.tripod.com/oum_abdulaziz/WhoWasMohd1.htm

http://www.usc.edu/dept/MSA/fundamentals/prophet/lifeofprophet.html

---

(٥) أمثلة المواقع تمَّ إعدادها في عام١٤٢٤هـ.

http://islam101.com/rasool/bio/profbio.html

http://www.unn.ac.uk/societies/islamic/prophets/muhbiog.htm

http://www.geocities.com/Athens/Acropolis/6808/sirah.html

الملحق الثاني: مواقع مبيع كتب عن سيرة وحياة الرسول ﷺ:(٦)

http://islamicbookstore.com/books-prophet-muhammad--pbuh--sirah--the-life-of-the-prophet-muhammad.html

http://www.astrolabepictures.com/blopm.html

http://www.islamicbookscanada.com/Biography-Seerah.htm

(٦) أمثلة المواقع تمَّ إعدادها في عام١٤٢٤هـ.

http://www.robtee.com/books/Muhammad_A-Biography-of-the-Prophet.htm

http://www.amazon.com/exec/obidos/tg/detail/-/0913321532/104-8215033-4259156?vi=glance

TheProphet

Peace & Blessings be Upon him

The Prophet and the people who opposed him

How to make the Prophet Muhammad come alive for your children

The Prophet's last sermon

How the Prophet instilled brotherhood and sisterhood amongst Muslims

What The Prophet Did in Sajdah (prostration

Poem: If the Prophet visited you

The Prophet's Marriage Sermon

How the Prophet celebrated Eid

Life of the Prophet: Read a Seerah book online

الملحق الثالث: منتجات إعلامية وأفلام عن حياة الرسول: [٧]

١) منتجات فيديو عبر الحاسب:

Muhammad: Legacy of a Prophet Video DVD

Understanding the Seerah (6 video set)

Peace, War and Alliances in the Prophet's Life

8 Winning Principles of the Prophet

The Prophet's Development of Youth

The Prophet's Empowerment of Women

Social Service in the Prophet's Life

The Prophet and the people around him

Authenticity of Hadith & Islamic Law

Muhammad (pbuh) the Honest

Opposition to Islam: Yesterday and Today

٢) أشرطة صوتية عبر الحاسب عن حياة الرسول ﷺ:

Understanding the Seerah (6 cassettes)

Understanding the Seerah (6 CD)

A Treasury of Islamic Tales (7 CD)

---

(7) أمثلة المواقع تمَّ إعدادها في عام١٤٢٤هـ.

A Treasury of Islamic Tales: The Children's Story Library (cassettes)
A Treasury of Islamic Tales (cassettes and books)
An-Nawawi's 40 Hadith
Gifts from Muhammad (peace and blessings be upon him)
In Praise of the Last Prophet (peace and blessings be upon him) (cassette)
In Praise of the Last Prophet (peace and blessings be upon him) (CD)
Prayers of the Last Prophet (cassette)
Prayers of the Last Prophet: (cassette and book)
Prayers of the Last Prophet (CD)
Prayers of the Last Prophet (CD and book)
Prophetic Art of communication
The Life of the Last Prophet (casette and book)
The Life of the Last Prophet (cassette)
The Life of the Last Prophet: CD

The Prophet's Hands CD

The Prophet's Hands (cassette)

٣) كتب عن السيرة تباع عبر شبكة الحاسب:

Stories from the Prophet's Life

Stories of the Seerah

Sunshine at Madinah

The Life of Muhammad (peace and blessings be upon him)

When the Moon Split

A Day With the Prophet

Image of the Prophet Muhammad in the West

Muhammad, the Last Prophet

Prophet's Muhammad's Sermons - Forty Sermons

Remembrance and Prayer: The Way of Prophet Muhammad

الملحق الرابع: بعض الروابط لمواضيع الحديث وماله علاقة بالسيرة: [٨]

The Science of Hadith.

An introduction to the science of Hadith

Hadith's authenticity

الملحق الخامس: بعض المواقع الرسمية للشركات المنتجة للبرامج التي تخدم السيرة النبوية: [٩]

حرف (٢٠٠٠). الموقع الرسمي لشركة حرف لتقنية المعلومات. العنوان على شبكة الإنترنت: *http://www.harf.com*

العريس (٢٠٠٠). الموقع الرسمي لشركة العريس للكمبيوتر. العنوان على شبكة الإنترنت: *http://www.elariss.com*

التراث (٢٠٠٠). الموقع الرسمي لمركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي، الخطيب، (عمان - الأردن). العنوان على شبكة الإنترنت: *http://www.turath.com*

---

(٨) أمثلة المواقع تمَّ إعدادها في عام١٤٢٤هـ.

(٩) أمثلة المواقع تمَّ إعدادها في عام١٤٢٤هـ.

المحدث (٢٠٠٠). الموقع الرسمي للمحدث. العنوان على شبكة الإنترنت: *http://www.muhaddith.org*

الموقع الرسمي للشبكة الإسلامية. العنوان على شبكة الإنترنت: *http://www.islamweb.net*

الموقع الرسمي لشركة الهندسية لتطوير نظم الحاسب. العنوان على شبكة الإنترنت: *http://www.rdi-eg.com*

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

السحيباني : محمد بن إبراهيم.

- **السلع المعلوماتية** : حالة برامج كتب التراث الإسلامية ، قسم الاقتصاد بجامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض ، بحث غير منشور

- **برنامج القرآن الكريم** من إنتاج شركة صخر (الإصدار رقم ٧,٠) لسنة ١٩٩٧م.

- **برنامج** ـ مكتبة السيرة النبوية (الإصدار رقم١,٥) من إصدار الخطيب لإنتاج البرامج (الأردن ـ عمان) ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

- **برنامج** ـ الجامع لأوصاف الرسول ﷺ وهو من إنتاج (الشركة الهندسية لتطوير نظم الحاسب) بالقاهرة، ٢٠٠١م.

- **برنامج** ـ مسابقة السيرة النبوية من إصدار الخطيب لإنتاج البرامج ، الأردن ـ عمان ، ١٤٢٣هـ.

- **برنامج** ـ أمهات المؤمنين من إصدار الخطيب لإنتاج البرامج ، الأردن ـ عمان(د.ت).

- **برنامج** ـ معارك العرب والفتوحات الإسلامية من إصدار الخطيب لإنتاج البرامج ، الأردن ـ عمان ، (د.ت).

- **برنامج** ـ السيرة النبوية للبيت المسلم النبوية من إصدار الخطيب لإنتاج البرامج، الأردن ـ عمان، (الإصدار ٢,٠) لسنة ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

- **برنامج** ـ الصحابة ضمن المكتبة الإلكترونية للأسرة المسلمة من إصدار الخطيب لإنتاج البرامج، الأردن ـ عمان، الإصدار(٢,٠) (د.ت).

- **برنامج** ـ موسوعة السيرة النبوية. من إنتاج شركة حرف العالمية، سنة ٢٠٠٠م، نسخة من إهداء مؤسسة الشيخ سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية.

- **برنامج** ـ الغزوات النبوية، من إنتاج الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض، (د.ت).

- **برنامج** ـ موسوعة الحديث النبوي الشريف، من إنتاج شركة صخر لسنة ١٩٩٩م.

- **برنامج** ـ موسوعة الحديث الشريف من إنتاج شركة حرف، الإصدار(٢,٠) لسنة ٢٠٠٠م.

- **برنامج** ـ مكتبة التاريخ الحضارة، من إنتاج الخطيب في عمان بالأردن، (الإصدار رقم ١,٥) لسنة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

- **برنامج** ـ تاريخ دمشق لابن عساكر (الإصدار الأول)، من إنتاج الخطيب في عمان بالأردن، لسنة ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

- **برنامج** ـ سير أعلام النبلاء من إنتاج شركة حرف للحاسب الآلي، إصدار سنة ٢٠٠٠م.

- **برنامج** ـ التاريخ الإسلامي، من إصدار عبد اللطيف للمعلومات (الإصدار الأول)، لسنة ١٤١٩هـ -١٩٩٩م.

- **برنامج** ـ تاريخ الإسلام، من إنتاج شركة حرف لسنة ٢٠٠٠م، **توزيع مؤسسة سليمان الراجحي الخيرية.**

- **برنامج** ـ الأدب العربي، من إنتاج الخطيب، عمان الأردن، (الإصدار ١,٠) لسنة ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.

- **برنامج** ـ مجموعة فتاوى ابن تيمية من إنتاج شركة حرف، لسنة ٢٠٠٠م، توزيع مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية.

- **بزنامج** ـ مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وكذلك مؤلفات تلميذه ابن القيم من إنتاج، الخطيب في عمان بالأردن، الإصدار الأول لسنة ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

- **برنامج** ـ جامع الفقه الإسلامي من إنتاج شركة حرف، لسنة ٢٠٠٠م، توزيع مؤسسة سليمان الراجحي الخيرية.

- **برنامج** ـ مكتبة التراث السياسي، من إنتاج الخطيب في عمان بالأردن، (د.ت)